

أثارة مِنْ فِكر

مجموع مقالات

عبد العزيز كرار العكد

جمع وترتيب

عزام محمد

الفهرس

كُتبت هذه المقالات في الفترة من 2018 الى 2024م
و نُشرت على المواقع و المدونات التالية :

- مركز نور الثقافي
- قناة الكنز الأعظم على تليجرام
- صفحة عبد العزيز كرار – فيسبوك
- مدونة تبيان
- مدونة أثارة
- موقع عمران

تقديم الباش مهندس عثمان تلاف

الحمد لله وحده وبعد :

فقد تابعت كتابات أخي الدكتور عبد العزيز العكد منذ سنوات، وحاورته في كثير منها.

تأتي أهمية هذه الكتابات المتفرقة في وقت كتابتها المجتمعة في مرجعية صاحبها، حسب مقتضيات الواقع؛ في كونها جهد مثقف عانى هموم أمته، واشتبك مع قضاياها، وفكك مضامين الحملات التضليلية لبوصلة الاتجاه الإسلامي.

وهو جهد فرد حاول أن يدفع وينفع ما استطاع، وأن يسد ثغرة من الثغور الكثيرة، وأن يسير على نهج الاسلاف في النهضة.

فجاءت المقالات هذه مبينة عن المضامين الكلية التي يستند عليها الكاتب في مثاقفته للفكر ومدافعته للآخر.

فقام بتفكيك مصطلح " المثقف" الذي جعل منه كائنًا مقدسًا، بتتبع المعجم والاشتقاق، وبيان زيف كثيرين ممن انتسبوا إليه. وتبين أسس ما استندوا عليه من الفكر الوافد دون تمحيص. ثم في خصوصية المثقف الإسلامي واشكالاته وبوصلة الخروج من أزمتنا الثقافية المعاصرة.

والعكد مهتم بالمجتمع كفضاء يتجسد فيه الفكر، فنجده دومًا يلحظ ويستشرف كذلك التغيرات المجتمعية التي تحدثها الأفكار.

والملاحظ أن النسوية هي الأكثر حضورًا في هذا السفر، وهي ولا شك من الموضوعات بالغة التأثير في المجتمعات يقول العكد: "فكشف عوار هذه السرديات ولوثاتها التي تستهدف كيان الأسرة المحافظة أمر تفرضه ضرورة الوقت بجانب دواعي التدافع الكوني" ويرى ضرورة نقد النسوية بما أسماه الخطاب الراشد اي المستند على التأسيس الشرعي الإسلامي.

ومعظم المقالات مكثفة تحتاج إلى مزيد توضيحات وأمثلة وتوسع في الحلول والبدائل المقترحة.

وبالمجمل فإن المقالات تنطلق من التأسيس الشرعي لنقد المفاهيم الوافدة وبيان زيف التلفيقين من بني جلدتنا، وبيان آثار غياب النقد الشرعي للأفكار الحديثة في المجتمعات المسلمة.

ولقد قام بجمع المقالات وترتيبها الأخ عزام محمد جزاه الله خيرًا وارتأت منصة ثوابت -مشكورة- نشرها وتقديمها في أفضل حلة.

والحمد لله رب العالمين.

عثمان تلاف

الرياض، أبريل 2025م

تقديم الكاتب

الحمد لله وبعد
هذه مجموعة مقالات كتبتُها بأزمنة متفرقة وبأحداثٍ ووقائع مختلفة ، رأى الأخ الكريم عزام محمد جمعها في صحيفة واحدة رغبة منه في النفع وسهولة الوصول إليها فجزاه الله خيرًا وشكر له صنيعه.

أبو عمر عبد العزيز كرار العكد
الأبيض مارس 2025م

صناعة التفاهة

الراصد للحالة الإنسانية بشتى مستوياتها المعرفية، والعلمية، والعملية، والإدارية، وتداخلات بِنى التطوير المعماري من جهة وتجاوز المآزق التاريخية للتصورات الحاكمة لنماذج الحكم، وهيمنتها على الفضاءات العامة من مناحٍ أخرى يلحظ نوع تدنٍّ وتراجع للحالة الحياتية بشتى تجلياتها سالفة الذكر؛ وهو رهن العطب الذي نوليه نوع تناول في هذا المقال تحت وسم (صناعة التفاهة) من حيث المفهوم، والأسباب، والمظاهر، وسبل المواجهة، والبدائل التي تحل محل هذه العوائق، آملين قليلًا من التجديد لخطابات الممانعة التي تكتفي -حتى الآن- بامتعاضها دون الحيلولة وقطع علائق الداء المعني.

مفهوم التفاهة:

يرجع اللفظ في وضعه اللغوي إلى تفِه تفاهة وجمعها توافه، وهي نقصٌ في الأصالة، أو الإبداع، أو القيمة، وكذا الدناءة، والحقارة، ومنها المعنى الوارد في الحديث النبوي في ثنايا ذكر علامات الساعة وأماراتها، ككلام التافهة في أمر العامة... (قلنا: وما الرويبضةُ يا رسول الله، قال: الرجل التافه يتكلم في أمر

العامة) فعبَّر عليه الصلاة والسلام عن تصدّر الجاهل والدنيء لأمور وشؤون الناس مما لا صلة ولا اختصاص له به تفاهةً منه.

أما في العموم فالتفاهة هي اتجاه فكري معاصر تشكَّل إثر استحكام نظريات الدولة الحديثة وسردياتها الحاكمة للنظام الحياتي المعاصر.

أسباب التفاهة ومغذياتها:

إن حالة التردي بشكل عام في العصر الحالي، وبصورة خاصة في الشعوب المسلمة؛ يرتهِن للاضطراب الحضاري، والزعزعة المعيارية في صفوفها، من غيابٍ لحاكمية النسق الشرعي، واختلال في منظومة القيم المستمدة من الكتاب والسنة، وضعف التعاطي مع عجلة التقدم العلمي، إما بنوع تخلف ملحوظ، أو مجاراة غير منضبطة فيها تفريط للوصول من جهة وانغماس في فرعيات وافدة من نواحٍ أخرى، وقد عبّر عن هذه الثُلمة الدكتور سعيد بشار في رائعته المسماة

بـ (المصطلح خيار لغوي وسمة حضارية) بعبارات وعَبرات تحكي أرَقه وحزنه على حالة الضعف للأمة إذ يقول: «هذه الأمور من أهم عوامل صحة الأمة وعافيتها، أو سقمها ومرضها،

أو قل هي بمثابة الشريان الذي يدفع الدم الزكي الطيب للجسم؛ فيكون غذاء ينتفع به، أو يدفع الدم الخبيث العفن فيكون داءً يتضرر منه...» والدكتور بشار هنا يتكلم عن سطوة الاستغناء عن عموديْن من أهم روافع الحياة الإنسانية، وما نتج عن غيابهما من تفاهة، وضلال وتيه، وهما: اللغة والدين.

كذلك من أسباب سيطرة التفاهة على جيل الأمة المسلمة الاستغناء عن أدوات فهم التراث الشرعي، المَعين الناظم للحياة، واستجلاب قوالب جديدة من خارجه لتكون حكمًا عليه، تارة تبديلًا لمظانه، ومرة بطرد معانٍ مركزية فيه، ومرات عديدة باستجلاب معانِ أجنبية عنه كدلالات لألفاظه، وهو المعنى الذي دارت حوله رسالتا الأستاذ أبي عمر إبراهيم السكران رائجتا الصيت، وذائعتا الشهرة في الباب، وسبك في ذات المنحى الدكتور خالد بن عبد العزيز السيف كتابه المسمى (ظاهرة التأويل الحديثة في الفكر العربي المعاصر) والتي أحلى ما فيها تدارس منابع التفاهة في هذه الجزئية بنقد أهم المشاريع العربية ذات القراءات التافهة للنصوص الشرعية.

سطوة نموذج الدولة الحديثة على الحياة القيادية الحالية يلعب دورًا مهمًّا في نظام التفاهة كما عبّر عن ذلك الأستاذ آلان

دونو في رائعته (نظام التفاهة)، وحاصل ما قاله أنَّ الضعف الموجود في أنظمة التعليم والإدارة والصناعة والإعلام والاقتصاد وجميع محاريب الحياة لهو فرع عن أصل هذه الأدواء العضال وهو: تولية الأشخاص محدودي ومتوسطي الذكاء والفِطنة لقيادة الأمم والشعوب.

مظاهر التفاهة:

1. ضعف الإنتاج العلمي، وإغراق الناس في السفسطة والجدل وعدِّ ذلك علمًا يدفع ويرفع ، والازدراء لأي محاولات إصلاحية لهذا العطب، هو عين التفاهة وهو المعنى الذي ساقته الكاتبة النافذة الرؤية (الأديبة إقبال بركة) في ثنايا تقدمتها لرائعتها (الحب في صدر الإسلام) وهي تتحسّر على ضيق عَطن القلم العربي الذي تنكّر للمفردة الشعرية القديمة واستعاض عنها بشوارد أوصاف حديثة إذ تقول: «إنها قراءة جديدة لقصص قديمة، قراءة بعيون عصرية، عيون امرأة القرن العشرين المشرف على نهايته؛ امرأة تؤمن بالحب وتأثيره الرائع على قلب الإنسان ونفسه وعقله...» ثم واصلت السرد والاستشهاد لحالة التفاهة في النظم الحديث للحب والوجدانيات بشكل عام مع عزوها للسبب أعلاه : وهو ضعف الإنتاج وضآلة التداول للموروث!

2. سيادة العبثية والعدمية والمناهج الخادمة لهما: فبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر من العام 2001م -وأعني حدث تفجير برجي التجارة العالميين، اخذت الفضاءات الحياتية نوع تحول بظهور موجات الإلحاد الجديد كما رصد ذلك الباش مهندس عبد الله العجيري وقام بتشريح التفاهة وربطها بهذه الطامة الدكتور عمرو شريف في كتابه المعروف.

سبل المواجهة:

1. أول خطوات مواجهة هذه الموجة الخطيرة هي التعرف عليها، ثم دراسة أسبابها في أي منحى تمظهرت فيه، ثم أخذ الحيطة والحذر من استفحالها، وتدارك نتائجها الكارثية بجملة من التدابير نزعم نفعها وهي:

2. المنهجية في التعلُّم والتدريس: فأس التفاهة المعرفية التخبط في مصادر المعارف ومنتوجاتها فالأخذ العشوائي للمعلومات نفسه باب قائدٌ للتفاهة، ومقدمات رادة للنتائج العفِنة، فلا بد من ضبط الأصول لتنضبط الفروع، وسلامة القواعد ضامن لسلاسة النهايات، والبناء رهن ساسة متانةً وبقاء!

3. توسيع دائرة المزاحمة للتافهين وتقديم المطلوب الإعلامي والإداري والتعليمي والقيادي، وسد حاجة المجتمع بتجهيز اللوازم بشتى المنافذ التي يدخل عبرها التفه والسوء؛ فالطبيعة لا تقبل الفراغ.

4. الطرق المتزايد لمعضلة التفاهة وتاريخها وظروف ظهورها وخوادمها أمر مهم في مدافعتها.

والله المستعان

جناية المثقف

دارت معاني المثقف في المعاجم اللغوية العربية بين عدة معانٍ كالشخص الموسوم باستنارة الذهن، وتهذيب الذوق، وتنمية ملكة الحكم والنقد، وغيرها من المرادفات المبسوطة في بطون الكتب* لكن يمكن إجمال المعنى الدقيق، الأقرب لوجدان التداول المعاصر لمعنى المثقف بأنه هو المعنى الرائج في المقارنة بين لفظتي intellectual، وculture: وأظهر الإحالات اللغوية للفصل بين الوضع العربي لكليهما هو كون الأولى «أقرب في دلالتها للمفكر إذ أصلها الأوربي يرجِع إلى كلمة intellect وهي الفكر، بينما الثانية تعني الرعاية والعناية وتستخدم مجازًا للدلالة على الشروط التي يوفرها المجتمع للنمو النفسي والعقلي لأفراده»[1] وبذي المعاني يتضح أن الأقرب لمعنى المثقف اصطلاحاً يكون بطرد المعاني اللغوية حوله وهو: الشخص الذي يمتلك فكراً؛ يؤهله لتقديم ما من شأنه استنهاض همم المجتمع، والتقدم به تجاه الأفضل، وانتشاله من القوقعة حول أسباب التخلف الحضاري، وتذليل المتاريس النهضوية كالجهل، والقبلية، والسموم النفسية، والثانية كحب المصلحة الشخصية على حساب العامة، وأمراض الضمير كالأنانية، والكسل المعرفي وغيرها.

إن مسؤولية المثقف تتشكل بحسب واقعه، وشروطه الحضارية، وهو ما يعبِّر عنه العلماء «بالحاجة المعرفية»، فالمثقف الإنساني في باكورة فجر التاريخ البشري لجأ لاستكشاف المأكل، والمشرب، وسبل الزراعة والرعي، ثم تطورت إلى أن آلت الأمور إلى تطلعاته إلى تكوين الأنظمة الحاكمة لحياته الاجتماعية كالتزاوج، وأنظمة العشائر، والتكوينات القبلية، إلى منتهى التفكير السياسي لمرحلة الديموقراطية التقليدية، وهكذا استمرت المحاكات الحياتية تحتم على المثقف الممسِك بأدوات العلم والمعرفة القيام بدوره وريادته.

والمجتمع الإسلامي ليس بدع من هذه السيرة الإنسانية فمثقف العصر النبوي لما كانت حوبته في الميدان الحربي استنهض عقله وابتكر التكتيك الحربي مستفيدًا من تجربة الفرس كما في حادثة خندق سلمان، وتعلَّم الصحب الكرام لغات ولهجات غير العرب حتى صار ثمن التحرر من الأسر أن تتكرم بتعليم نفَر من المسلمين كيت وكيت من حِرَفٍ، ولغات، ومعارف.

في فواتح القرن السابع عشر ظهرت تقسيمات اجتماعية بأوروبا اتكاء على الدور المرجو من الفرد، والعمل الذي يجب

عليه أداؤه تجاه المجتمع؛ فكانت الأعمال البدنية والمهام التي تحتاج لجهدٍ جسدي ويدوي كالحرف والزراعة والاتجار موكَلة لشريحة تسمى بالعمال، وإعمال الفكر والذهن وظيفة من أسموهم بالمثقفين[2].

هكذا كانت الخارطة البشرية المتواضعة في الغرب قسماتها المعيارية تتمايز وفق أداتي التفكير والإنجاز!

آلت التراتبية الوظيفية السالفة بتحديد المسؤولية الواقعة ضمن دائرة تأثير المثقف وهو ما أسماه الكاتب الدكتور علي شريعتي «مسؤولية المثقف» وكذا الدكتور محمد الأحمري، وخلاصة أطروحتيهما هي تأكيد إسناد الدور الثوري والريادة القيادية ورافعة المجتمع للموسوم بالمثقف، إذعاناً له بتولي رأس حربة الانتقال من منصة العمل المنبتّ عن التنظير الفكري؛ إلى الجهد المبني على المعرفة جمعاً بين ضرورة تلازم العمل بالعلم.

وفدت مسؤولية المثقف الغربي إلى الفضاء العربي بحالتها القائمة بمهد قيامها الغربي، جارَّة اشتباكات الدين الكنسي المحشو بالخرافة وتصاريف الصَّلَف البابوي المقدمة كحقائق مجردة، مقدسة عن الرفض والتعقيب، منزهة عن المراجعة والتصحيح، مع الثورة الثقافية وما نتجت عنها بتصدير جملة

من البدائل السياسية كسلطة الشعب في مقابل الثيوقراطية، وحرية التفكير الناقد عوض عن جهالة تضييق محاكم التفتيش النصرانية، والاجتماعية كالتقسيم العادل لفرص البقاء والعيش والكرامة الإنسانية بدلا عن ادعاء النقاء العرقي وطهر سلالات بشرية عن غيرها... فخلقت هذه التوفيدات إشكالاً وجوديا بعالمنا الإسلامي وأول مظاهر تلك الأمور رفض الدين أسوة بالمثقف الغربي، وجرَت موجة نقد الموروث الشرعي تتضح يوم تلو الآخر وسط المثقفين بحججٍ راجت سابق كمزاعم تعدد التأويلات، وضرورة القراءات المفتوحة، وجدوى إطلاق الحقيقة، وسلامة النظر العقليين.

إجمال إشكالات المثقف الإسلامي في عالمنا المعاصر:

يمكن إجمال إشكالات المثقف الإسلامي في عالمنا المعاصر في ثلاثة:

الحالة الدعائية وتضخيم دوره المحوري في المجتمع؛ فعدد الدراسات الأكاديمية التي تُعلي شأن المثقف، وضرورة تقديمه وتصديره للناس، لا تجد لها حصراً، مع إهمال حدود وظيفته، وأدواره.

التقليد الكامل للمثقف الغربي، ولبس عباءته التحررية، والتملص من كل عبء أيدولوجي قد تحلل منه، مع عدم الاكتراث للخصوصية الحضارية، والنظر في السياقات الخاصة للمجتمع وتكوين صورة مناسبة.

التحلل الكامل والانفكاك عن المحمول القيمي والديني، والحضاري، والفكري، وتناسي البوصلة الشرعية، والاجتماعية الراسمة لتحرك المثقف الواقع ضمن دائرة التأثير الإنساني، واعتبار رأس المال الثقافي مهرًا للتمرد والانسحاب عن الواقع.

لكن تظل الحقيقة الماثلة الواقعة ضمن الضرورات النقدية، والمراجعات المستمرة؛ هي إعادة التفكير في المثقف ودوره، ومسؤوليته، وكيفية تشكل المفهوم والاصطلاح ابتداء ومدى ضرورة تبنيه.

استشراف مستقبل المثقف المعاصر في ظل استحكام النموذج المعرفي الغربي، وضآلة التمسك بالمعين الثقافي للمسلِم المتمثِل في النظر للكتاب والسنة وما فيهما من توجيهات راسمة لطرائق التكيف مع المتغيرات العصرية، بأصالة لا تدع المسلم ذائباً في الحوادث بغير هدًى ولا رشاد وفق البناء المعرفي الصحيح الذي يضع حدا للكليات ويتسع للنوازل وتفريعاتها، ومرونة لا تضيق بالمرء ذرعا من مسايرة

العصر لا العصرنة، يشي هذا الواقع المؤلم بمستقبل غير مطمئن للمثقف المسلم، ما لم يأخذ الأمر حجمه الحقيقي في هرم الأولويات الحضارية، لكن وسط كل هذا اليأس، والضحالة الواقعية للموقف المسلم، وضعف الإنتاج حيال هذه القضية يمكنني تقديم بوصلة أزعم أنها تسهم في قلب طاولة الاضطراب الثقافي، وبها نخرج من أزمتنا الثقافية

بوصلة الخروج من أزمتنا الثقافية:

تمتين الدور الأكاديمي وهو الطريق الأصيل في تبيين بوصلة المثقف، بتعريفه على نفسه، ودوره، ومسؤوليته، وخروقاته التي نتجت إثر تنصله عن خندقه، وميدانه.

تقديم نموذج المثقف الحقيقي في التاريخ الإسلامي، وتصديره للمجتمع في كافة حقول العلم، وتسهيل الإجابة عن سؤلات الماضي الثقافي للمسلم في شتى ميادين المعرفة العلمية، والعملية، النظرية، والتطبيقية؛ فالمحرِك الاقتدائي من أنجح روافع التاريخ الإنساني ويدل على ذلك أن الوفاء لاستكشافات معينة يكون بتأريخها باسم مكتشفها فالمنهج الخفي وراء هذا الصنيع هو المثاقفة بالقدوة.

تعرية النماذج المعاصرة التي قدّمها الإعلام الهدّام كمثقفين يّحتذى بهم، فالبناء بالقدوات لا بد من أن تماشى معه عملية فحص نقدي للنماذج الخادعة.

الاجتماع البشري من مجتمعات التكافل إلى تجمعات الأفراد

ثمة تغيرات طرأت على بنية الاجتماع البشري، تحولّ على إثرها إلى النقيض من السابق؛ فمن مجتمع تجمعه مشتركات عِدة إلى تجمعات لا تتفق إلا في السُكنى وبعض أشكال وأنماط المعيشة.*

يناقش المقال هذه الظاهرة استبيانا لمظاهرها وأسبابها، وتحسُّسا لظلالها وتبعاتها، ثم إدراج بعض مظان علاجها، وتدارك ما بقي من جوانب قوة في محاصرة الظاهرة، وإيقاف مدها المتلاطم.

مفهوم المجتمع والتجمع:

يفترق المجتمع عن التجمُّع بكون الأول جملة من البشر تجمعهم عدة سمات كنمط العيش، وأساليب المأكل والمسكن، ووحدة الغاية، وجوهرية الأهداف، والتحرك في ذات الفلك الحياتي لأجل حفظ المسافات الآمنة بينهم [1]، لكن التجمع يُوصف بمجموع الناس الذين تختلف غاياتهم، وأنماط حياتهم، وأهدافهم ولا يجمعهم سوى أصغر

المشتركات البشرية؛ كالمساكن ودور التعبد والمشافي، في تجافٍ تام عن بقية مسالك الحياة.

مظاهر التحوُّل من المجتمع للتجمع:

1. تعدد الطبقات الاجتماعية ففي الحي الواحد تجد أن ثمة أغنياء، وفقراء، وطبقة متعلمين، وأميين، ومشتغلين بالعمل السياسي، ومن لا يُعرف اهتمامهم حتى.

هذه التباينات الطبقية توضِّح بجلاء أن خللا ما في هذه المجامع البشرية؛ لأن المال والمعرفة -اللذيْن شكلا هذه المسافات والافتراقات الطبقية- من المحوزات التي يسهل تشاركها ولو بدرجات ونسب متفاوتة؛ فبقليل من السلوك الاجتماعي تتضاءل مظاهر الفقر، وتتلاشى نسب الأمية للتعرّف على المعلوم بالضرورة، وتشيع المفاهيم السياسية العامة بقليل جهد من أربابها، فبالتالي هذه التمايزات الطبقية أدت إلى تشظي السمة المجتمعية وتحولت الأمم إلى تجمعات كمجموع سيارات وبضائع لا تجمعهم أي قيم ذاتية طالما شكل كل منهم ذاته بعيدًا عن الآخرين.

2. غياب التربية الجماعية وشيوع ظاهرة التربية العواقبية [3]
ففي المجتمع ثمة مهمة تربوية توكل للرأي العام إذ يتلقى الطفل نصائح خارج المنزل، وبالمدرسة من أشخاص لا يعرفهم غير أنه أقترف خطأ تقع مسؤولية تصويبه عين على من شهده سواء تربطه به صلة أم لا، لكن هذه الخصيصة اختفت لما شاع في الناس القوانين التي تتيح للطفل التظلُّم حتى ضد الوالد والوالدة، فتجاسر الأبناء على الجميع بدءًا من المنزل، فالتربية العواقبية التي ترسم للطفل حياته وفق ما يترتب على أفعاله نصحاً وتقويماً حلت محلها تربيةً عقابيةً تنصب جزاءاتها أمام كل ناصح.

أسباب التحول من المجتمع للتجمع:

1. التحرر والفردانية: فالليبرالية التي ارتكزت أهدافها حول ركني التحرر والفردانية (الحرية الفردية) ساهمت بشكل كبير في تلاشي الفواصل بين الفضاء العمومي، والفضاء الخصوصي؛ إذ الفضاء الخصوصي كان يبدأ بشكل أدق من عتبات الأسرة وسياج المنزل، وما كان خارج ذلك كالمسؤوليات السياسية والاجتماعية، أو المعنوية كالعمل الجامع، والإحساس بأوجاع الأمة، وقضاياها المصيرية، فيعتبر هذا فضاء عموميا، لكن الفردانية تلاعبت بهذه القسَمات إذ خرّبت العمومي

بتقليل مساحاته بحسب رغبات الأفراد فلم يعد الشأن شأن الجميع طالما أن هناك نكيرا من أحدهم، وزادت رقعة الفضاء الخاص وذلك بتخريب القيود الأسرية، وتشتيت مهام الأهل، وتقليل سطوة الوالدين حتى في تحديد مصائر أبنائهم ، وتكريس الجهد والمال في دفع تلك الأفئدة تجاه أسوار منازلهم مبنًى ومعنًى.

2. الفراغ الوجودي وغياب المعنى: فالتضخيم الشديد لواردات المعارف والانهزام أمام المعمار البشري سيما أن غالب المجتمع البشري يردح تحت وطأتي الفقر والاستعمار؛ فساعد ذلك على ضمور الغائية المجتمعية، وتشكلت الغايات الفردية، وتشتت القيم الجامعة على حساب بروز المعتقدات الفردية، فالدافع للمجتمع المتماسك ليس محسوسًا فحسب بل ثمة خفايا نفسية لمَّا غابت وضمرت اضمحلت هذه الجُمعة الإنسانية.

3. النظرة الذرية للوجود: وهي من مخلفات التقنيات الجزيئية الحديثة التي لم تقتصر على خدمة المكتشفات العلمية فحسب؛ بل تجاوزتها لتظهر في صور الافتراق البشري إذ يستند كل منّا على مطلوباته الخاصة، واحتياجاته مع استظهار دعاوى بناء الذات بالذات.

تبعات هذه الظاهرة:

١. ضمور الهموم الجامعة للمجتمع البشري يسهِّل السيطرة عليه فالعقيدة المشتركة حصن ضد العدو المتربِص، ورادعة أمام موجات التشظي، فلما تغيبت الجوامع القيمية وتضاءلت، مع فشو المفرِّقات؛ فذي نُذر شرّ، ورسل انهيار، ودلائل اضطراب، ففي الحضارات البشرية السابقة كان أهم أسباب البقاء أو الفناء عاملان هما: الوحدة والانشقاق.

ما العمل؟

٢. الطرق المتزايد لضرورة التمتين للقيم البشرية المشتركة كالتأكيد على حقوق الجار، والوالدين، والكبار والصغار، مما تُبنى به العلاقات الصغرى، والمزايا الشرعية في صلة الأرحام.

التأكيد على جوهرية قيم التكافل والتراحم الإنساني الذي أكدته النصوص الشرعية في الكتاب والسنة، والتشديد والوعيد الذي رتبته على العبث بمجموع الهموم والممتلكات العامة.

٣. توضيح العبث الليبرالي وخطر خطابات التحرر الفردي، وكشف المنظومات الفاعلة في تصديره كالمجموعات النسوية، والذكورية، والأحزاب اليسارية، والمنظومات المعرفية

كدور الإعلام، وإنتاج المرئيات والمسموعات الداعمة لهذه الاتجاهات الفاسدة.

٤. إنتاج مجتمع معافى من الفردانية وذلك ببناء جيل واعٍ متمسك بالكتاب والسنة، منضبط بالتراتبية التربوية، مذعنا لما يترتب عليها.

٥. التعرف المستمر على الاجتماع البشري الرقمي الحديث[11]، فثمة تغييرات جوهرية أحدثتها هذه التقنيات في بناء المجتمعات البشرية.

---

[1] *. للشيخ الدكتور عبد الله العجيري توضيح مهم لهذه الظاهرة ضمن حديثه في الموسم الثاني من بودكاست نقطة حلقة (الحب في زمن الحداثة).

1. اشهر الكتابات النافعة بحسب اطلاعي: (علم الاجتماع الرقمي) لكيت أورتون.

الضلال المنهجي في العصور الإسلامية المتقدمة يؤصِّل له أصحابه بوجوه ظاهرها الحق وباطنها الضلال أو بعض ظاهرها الانحراف من النص الشرعي = ويكون الخطأ حينها إما من جهة الدليل أو الاستدلال.

المرجئة عقب الخلاف السياسي الشهير خرجوا بتأسيس مذهبهم القائم على التهوين من الذنب والخطيئة لطالما لصاحبها أصل إيمان = فلا تضر عندهم مع الإيمان معصية واستنادهم زعمًا على (وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) ثم تطرّف عنهم الخوارج فجعلوا الواقع في الكبيرة كافر مارق ثم حايدت فرقة المعتزلة فجعلته في منزلة بين المنزلتين = في الدنيا لا يحكمون عليه بكفر أو إسلام - وقول الخوارج باطل لاستحالة ارتفاع النقيضين وأهل السنة والجماعة مذهبهم دون هؤلاء فهم يرون أن الإيمان يرتفع بالطاعة وينخفض بالمعصية، وأن مرتكب الكبيرة لا يكفر ومستحل الذنب يكفر سواء أكان صغيرة أم كبيرة = فمع خطل وبطلان مجموع المذاهب السابقة ومخالفتها لصحيح الإسلام المتمثل في موقف أهل السنة والجماعة إلا أنك ترى

نضج الرؤى التي انبنت عليها تلك المخالفات الشرعية من جهة الحجاج المعرفي لأربابها.

تظل سنة التدافع المنهجي والقيمي باقية ببقاء دوامة الحياة ولا تنقطع إلا إذانًا بنهاية الوجود (قيام الساعة) وهذه السلسلة من السطوات تتخللها صعود أنجم وأفول أخريات من السرديات الوضعية من جهة، ومن المقدسات السماوية من جهة أخرى، لكن يظل الوعد باقٍ "إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده المتقين "

ويظل المشروط متحقِق بتوفر الشروط وقيامها "ليستخلفنهم في الأرض كما أستخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي أرتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنًا ' يعبدونني لا يشركون بي شيئا" ولكن اشتداد الصراع وحمي وطيس السجال حول ممكناتها ينتج نوع يأس له نظائره" حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب"

لكن المسلم الكيوت = المسلم الذي ارتهن لثقافة الغالب وأعيته المزايدة من قِبل أعداء الإسلام على خطاب العقيدة من جهة، وضرورة التسليم للشرع من ناحية، فآثر التصديق بكل ما يصدّر له منهم وبل تحوّل مصدر تبرير وجعل غيره مجرد غوغاء ورعاع وكائنات رخوية ساقطة من كتاب تاريخ وغير جديرة بالوجود بذاتها وكينونتها وسط هذه الآلة التكنولوجية؛

خالف هذه النظائر التاريخية في تكوين فكرته القائمة على المسايرة لظاهرة نقد الدين والنخر في أصوله!

يرى المسلم الكيوت أن مراسيم الولاء والبراء بين المؤمن والكافر غير جديرة بالأخذ فيترحم مثلًا على ملاحدة و نكارى لله عز وجل لكون الإنسانية أكبر من عباءة الدين القائمة على الحزبية والتقييد = لكن يلزمهم أن يأسسوا لترحمهم من منطلق إنسانوي واستظهار ما يدعم حجتهم من الإنسانوية المستحيلة التي يتشبثون بها.

فالكيوتية نتيجة حتمية لضمور الجانب الروحي بسبب النتاج الإعلامي الليبرالي المهوِّن من مركزية الدار الآخرة المُعلي من قيم الثقافة العلمانية لا لكونها بديلًا سياسيًا فحسب، بل مشروعًا قيميًا متكاملًا يجيب عن سؤالاتك ويشبع رغباتك وبل يحقق احتياجاتك المعنوية والمادية بوجوه متعددة.

مداخل المسلم الكيوت متعددة لكنها تظهر بوضوح في البؤر الحرجة والتي لا تقبل مهادنة ولا تستجيب لمداهنة = قضايا تندرج تحت عقيدة الولاء والبراء كمسألة التودد للكافر أو التداخلات الاجتماعية أو معاونتهم ضد المسلمين، أو التخابر معهم بل حتى يبلغ الأمر بالكيوت شأوه بأن يتضجر بمجرد الاستنكار عليه لترحمه على ملحد = فتلاشي الفوارق العقدية

والتهوين من الفرقة والتحزب المبني على الدين هو أوضح علامات انحدار المسلم في بالوعة (الكيوتية).

العلموية من أكبر أسباب الانغماس في براثن الكيوتية لأن أس معظمها مرتكِز على علوم غربية مشبّعة بالأيديولوجيا المعادية للإسلام = فالمنخرِط فيها يستصعِب تمايز الصفوف بسبب الأنسنة التي تعاطاها بتمرحل موضوعي مدروس لا مجرد موقف انفعالي عابر.

التعقيد الذي ظل يلازم معظم فنون العلوم الشرعية والاستبطاء؛ بل الغياب الجزئي في قضية (التمتين العقدي) وقلة الانخراط في فضاء صناعة المحتوى العلمي الدعوي ساعد كذلك في تضحيل وعي الشاب المسلم المنبهر بالمادة الإعلامية المبثوثة تحت غطاء (العلم الشعبي . Pop Science) وعصرنا كما قيل عصر السندوتشات في كل شيء.

النسوية والأسرة

تتخذ التيارات النسـوية المختلفة مواقف متباينة من الأسـرة نظرًا لاختلاف خلفياتها السـياسـية التي انبنت عليها نظراتها للبنى الاجتماعية، فالنسوية الليبرالية مثلًا ترى ضرورة إصلاح الأسـرة في بعض الجوانب مع الإبقاء على أصـلها، ووضـعت بشـكل واضـح تيك الجوانب التي تحتاج لإصـلاح أجملتها في الخلل الاقتصادي والوضع المعيشي الرديء التي ظلت تعاني منه المرأة جرّاء عدم استقلاليتها المالية واقتصار قِوامتها على الرجل وتفصـيله لاحتياجاتها وفق أهواءه الذكورية وأشـهر صـاحبات هذه النزعة النسـوية الشـهيرة (إيزورا دانكن) في كتابها (من الحركة إلى النظرية الاجتماعية - تاريخ قرنين من النسـوية) والتي نقلت جملة أدوات خادمة لتنظيرات النسـوية الداعمة للإصـلاح الأسـري وفق المفهوم النسـوي، كدعوتهن للتخلص من الحرمان الوظيفي وتوسـيع دائرة العمل العام ، ليشـمل المرأة وضـمان التمثيل العادل للمرأة في كافة الشـؤون السياسية وهذه أبرز سمات النسوية الليبرالية في أوجها الأول

غير أن ذات النسـوية الملبرلة في موجتها الثانية وسّـعت دائرة الإصـــلاح لتشـــمل المناداة بالمســـاواة بين الرجل والمرأة في العقود التزاوجية ، وتزعّمت هذه المناداة العالمة الاجتماعية جيســـي بيرنارد وهي أكثر النســـويات حضـــورًا في تنظيرات النسـوية التلفيقية المسـماه بـــ (النسـوية الإسـلامية) لاعتدال مواقفها بحسب مزاعمهن!

موقف مضـاد وهو للنسـوية الماركسـية والتي دعت للتخلص من الأسرة بصورة كاملة والانقضاض على جميع حبال الوصل بينها وبين المرأة ففي أشـــهر أســـفار المراكســـة لمؤلفه إنجلز (أصـل العائلة - الملكية الخصـوصـية والدولة) ترسـيم جلي للطريق النســـوي لهـدم الأســـرة بـدءًا من تصـــنيفـه للزواج المعروف بالزواج الخاطئ وصـــولًا لدعاوى التحرر الكامل من كاهل الروابط الأســـرية وضـــرورة تفكيكها بحجة التحرر من قبضة الذكورية، وهي القشة التي تتمسك بها نسويات العصر الحـالي بـل تطور الأمر حتى وصـــل لتجريم الزواج واعتبـاره مظهرًا اضـــطهاديًا للمرأة، وتشـــبيه المنزل وعزلته بالســـجون والتنـديـد بـإلغـاء دورهـا كمربيـة وبـانيـة لبنـات الأســـرة حتى التخلص من الأدوار بين الجنسين عن طريق المساواة المدعاة ما الســـر في فرح واســـتبشـــار طيف نســـوي من ظاهرة كثرة

حالات الطلاق؟ ترى النسـوية أن الطلاق وانفصـام عُرى العلاقة المشـروعة بين الجنسـين نوع تحرر فردي وتلاشـي لقبضـة الذكورية وانعتاق من عبودية المنازل التي لا تعدو كونها دورة تـدريبية للنسـاء على العمالـة المنزلية يمكن الاسـتغناء عنها بأقرب مراكز تدريبية وهذا هو السـر في فشـو ظاهرة التوريش والتـدريـب المهـاري والمعرفي وسـط المجموعات النسـوية ومنظماتها الفاعلة إذ تسـعى لتقديم بدائل نسـوية وسـد حاجة المرأة التي توفرها الأسـرة ومحاضـن الزواج المعلوم بالنظر للمواقف النسـوية السـالفة من الأسـرة يتبيّن خطورة الأمر فليس مقتصـرًا بـالمنـاداة بـالحقوق والواجبات المهضـومة، فذي أبجديات أولية في الخطاب الشرعي بل أهم شرط أغلظ فيه الشارع توفرًا في الخاطب في أولى مراحل تكوين الأسـرة هو شـرط الكفاءة العقلية والمادية والأخلاقية والدينية وعُدّ تقصـير القيِّم الأسـري عن إعالة العِيال ضـربا من الخيانة للأمانة وتأثيمه الشـديد كما في النصوص النبوية والتشديد على أمور التزويج وعدم المجاملة فيـه، وبلمجمـل الوعيـد المترتِـب على التلاعـب بـالأعراض والتهويل الحاد من للتفكك الأسـري كلها دلائل متفرقة عن الموقف الشـرعي من قضـية النسـاء والمجتمع فما ثمة حاجة للنسوية.

الخطاب الراشد ونقد النسوية

يُلحظ شُح خطاب المدافعة النسائي لمآلات الخطاب النسوي استنادًا على التأسيس الشرعي؛ فعدد من المتصدِرات لصد المد النسوي يرتكزن على المعرفة الفكرية المجردة المستمدة من نقد خارج عن الحقل الشرعي كمدرسة ما بعد الحداثة، ومراجعاتها ونقد فلاسفة ما بعد العلمانية للسردية النسوية بشكل خاص. تكمن خطورة هذا المسلك في أن الخطاب النقدي المنحِّي للاعتبارات الشرعية نفسه يعاني من خلل بنائي؛ وهو انطلاقة من أنسنة القضايا ومركزية حقوق الإنسان الغربي، ونظرته للمشكلات الأنثوية، مع بعض المفارقات للواقع النسائي بدول العالم المسمى بالثالث، وغياب التدليل على خروقات النسوية ونهاياتها بالنصوص الشرعية وهو ما يغيِّب اشتباكها مع الشريعة الربانية. الخطاب الراشد في نقد النسوية هو القائم على حلول الشريعة لبعض مشكِل النساء،

والذي يقدِّم هدم للبنى النسوية الرائجة، وفي ذات الوقت يعطي بدائل بيِّنة فمثلًا: التعدد كأحد المباحات الشرعية مع ما فيه من تدليل على مفارقة الإسلام للديانات المحرفة التي تحرِّم زواج أكثر من امرأة، والأفكار الوضعية التي تبيح تعدد الأخدان خارج القيد الشرعي؛ فهو أدلّ على اعتبار بعض الحالات الاجتماعية كالمطلقات، والأرامل، ففي بعض المجتمعات يندر زواجهن من قِبل الرجال غير المتزوجين لكن تكثر زيجاتهن من المتزوجين، والتعدد نفسه يحِد من ظاهرة الاحتياج لمنظمات رعاية اليتامى والأرامل، ومشاريع الكفالات الاجتماعية بشكل عام = فتِبيان فضيلة التعدد يحرِم الخطاب النسوي المنادي بحقوق شريحة مُستضعَفة حقيقة، ويُظهِر دور الدين في مزاحمة البدائل المشوبة المشبوهة. الطلاق كأحد تدابير الشارع في الخلاص من الحياة الزوجية التي وصلت لدركات يصعب الإبقاء معها للزوجين فمع ما فيه من شدة، وقسوة، يعني الكثير من مراعاة المشاعر للزوجين من جهة، وامكان الفكاك من الضيق الزوجي من نواحي أخرى، وقد عدّ الفقهاء بدعية الطلاق للمرأة قبل طهرها من أعتى حالات اختلال حالتها النفسية وهي فترة الحيض كأجلّ مظاهر مراعاة النفسية النسائية، وكراهة طلاقها في زمن تسوء فيه طبيعتها وصحتها على حدٍ سواء من شواهد احترامها وتقديرها = فبيان الطلاق

كتشريع يهدم أكذوبة سجن النساء بالعقد الزوجي، ويكشف اهتمام الدين بروح المرأة وتشريفها اجتماعًا وافتراقًا فخلاصة القول: التزود بالعلم الشرعي كمعرفة مكانة المرأة في الشريعة الإسلامية، ومركزيتها في الهرم التراثي، والدراية بقضاياها من ناحية فقهية، وعقدية، والاحاطة بالعقوبات الرادعة تجاه المتهاوِن بأخص خصوصياتها، مع امعان النظر للتشديد في مسألة التعامل معها من قِبل غير المحارم؛ هو أصل الدفاع عنها وأولوية معرفته من النساء مقدم على الأدوات النقدية الأخرى للنسوية ومآلاتها.

الأخلاق النسوية

الدارس للخطاب النسوي يتنبّه لمسائلة مهمة وهي سعيها لتأنيث أي شيء من خواص الرجال، بدءًا من اللباس والزي والمهنة والحرفة وطريقة المشي والكلام، بل حتى التفكير والاهتمامات، فتجد النسويات يطالبن بشكل كبير بكسر حاجز خواص الرجال في ما يتعلق بأنماط حياتهم، وفي ذات اللحظة تنادي التيارات النسوية بضرورة التنكّر لكل ما هو أنثوي، كرفض القرار بالمنزل المنضبط بالضوابط الشرعية، والتهكم بالموجِهات الدينية الحاكمة للتعامل بين الرجل والمرأة، وصولًا لرفض أي تمييز مبني على التذكير والتأنيث كالتكاليف والواجبات والحقوق .تشكِّل قضية الأخلاق حيزًا وافرًا في تراثنا الإسلامي، تِبيانًا للحسن منها والقبيح والمقبول والمذموم، وما تتأسس به المجتمعات والقدر الذي تنهار بفقده الحضارات، وعلائق القيم والأخلاق بالنهضة والتطور المجتمعي = فالأخلاق قيمة مبحوثة بالأصالة في ديننا؛ لذلك في أخصّ مشاريع البناء الاجتماعي (مؤسسة الزواج) كانت الأخلاق مطلوبة لذاتها، (...من ترضون دينه وخلقه) مع أنها

ضـــمن الدين لكن ليتضـــح للمســـلمين جوهرية الأخلاق في حياتهم. إن موضوع الأخلاق النسائية من المباحث التي أولاها العلماء عناية خاصـــة، فكتبوا عن الوفاء والرفق والعذوبة وطيب المعشـــر ولين الجانب وطيب الســـجايا، وتؤُدة المرأة وبل حتى في صفات السلب امتدحوا غيرتهن وسرعة غضبهن وتكرار خصـــوماتهن وغير ذلك، مما وُجد في النســـوة ســـجية وجبليّة، أو ما غرسته الطباع البشرية متأثرة بالعوامل المحيطة بمجتمعاتنا، لكن النســوية منذ بواكير نشـأتها كرّسـت جهودها للحط من قيمة الأخلاق النســـائية، واعتبارها مجرد مؤامرة ذكورية، وبِنى مجتمعية الهدف منها تتبيع جنس النســـاء للرجال وســـلبهن الحرية في تشـــكيل أخلاقهن، وفق ما يهوين ويردن فتجد التنظير الذي يســـفِّه من الأخلاق والانضـــباط بكثرة في كتب النســـويات والنســـويين الكبار، كمؤلفات (ويليتسون كرافت) و (جون استيوارت مل) و (هارييت تيلور) وغيرهم من أساطين النسوية.

خُلق عظيم كالحياء والسِتر لماذا تحتقره النسويات وكأنه شيء ســـيء؟ الجواب البســـيط لأنه خُلق ذكوري، فالسِـــتر لأجل الحفاظ على شخصية المرأة عن الأنظار واحتكار تلك الأجساد لزوج واحد حتى لو لم يأت بعد، والحياء ليس إلا كتم لصـــوت

نسـوي يُخشـى من سـيطرته على سـوح التداول الخطابي، مما يضيِّق فرص القبضة الذكورية، ويوضح هشاشته وضعفه في ظل التنافس النسـوي له! نعم هكذا تفكِّر الكائنات النسـوية، والتي وصل بها التيه بتعليل أي غياب أو ضمور لدور المرأة في مساحة ما لما يسمينه ب (الذكورية)

ترى النسـوية أن صـفة العفة والسـويّة الشـهوانية أمر ذكوري محض، لذلك تجد التبرير للمثلية الجنسـية والسـحاقية بكثرة في الكتابات الرئيسـة في النسـوية؛ ككتابات سـيمون دوبفوار والتي ترى أخلاقية الاجهاض في ذات الوقت الذي تدّعِي فيه تسـلطية الانجاب والأمومة وتجريمهما، وتسـاند الاتجاهات الحقوقية العالمية بالسـند النظري المسـماه بالقانوني والمعاهدات لذي الأهواء، فأصبح تجريم الاجهاض جريمة في كثير من المجتمعات الدولية، مع امتداح وتمجيد للقتل الموسـوم بالرحيم، وذلك مجاراة للنسـق النسـوي ونظرته للأخلاق! الجانب الأخلاقي في بعض الأدوار الوظيفية كالأمومة والتي تتمثل في العطف والتوجيه والتربية للأطفال؛ تجدها صـفات مسـلوبة من المرأة في النظرة النسـوية؛ لذلك تم ضخ مفاهيم الحضانة والدور التربوية البديلة لتضييق هذه الصـفات والمهام الجِبلِّية بُغية الوصـول لمرحلة تلاشـي

خصـوصـيتها الأنثوية، بل تنظر الكثير من النسـويات للأمومة وأدوار المرأة المنزليـة كمجرد دورات تـدريبيـة مهـاريـة، كورش العمل التي تخضع لها النساء بالأكاديميات ومراكز التعليم دون خصوصية أنثوية.

الحل المهم لهذه الاختلالات النسوية هي اعادة تموضع المرأة في الحياة البشرية، ولا يكون ذلك إلا بمعرفة التوصيف الشرعي للنسائية ومكانتها وأدوارها، وما تعلق بها من خطاب الشارع، وهذه الأشياء مبسوطة بكثرة في المدونة الشرعية الإسلامية، وأولاها الفقهاء وعلماء السلوك والتربية ودرّاس العلوم الإنسانية اهتمامًا بالغًا = فتعريف المرأة بما لها من حقوق وما عليها من واجبات، وما اختصها الله عز وجل به، وما تتداخل فيه مع الرجال سلبًا وايجابًا، يقطع الطريق أمام دعاة النسوية والتيارات المنحرفة وهو الدور الذي تقع مسؤوليته على الجميع.

نظرات حول النسوية

تعتبر أجيال النسوية الثلاث التي مرت بها ثم تمخضت عن تقسيماتها الخمسة المعروفة [2] من أهم المفاتيح السيسيولوجية لدراسة الحالة النسوية المعاصرة باعتبار أن المستجدات التي صاحبت نسوية ما بعد الحداثة كقدرتها على استيعاب ما تسمى بالنسوية التوفيقية [3] جعلت دعاتها يتفوهون ببعض الأباطيل ككون التيار النسوي ليس بعدو لقيم المجتمعات وكريم معتقداته بدليل استيعابه لنسويات تخرج عن أرحام الأديان كالنسوية المسيحية والإسلامية(2) = فكشف عوار هذه السرديات ولوثاتها التي تستهدف كيان الأسرة المسلمة المحافظة أمر تفرضه ضرورة الوقت بجانب دواعي التدافع الكوني والشرعي.

---

[2] قسم الجيل النسوي الثالث من ثمانينيات القرن الماضي التيار النسوي لنسوية ماركسية / ليبرالية / راديكالية / سوداوية / مثلية = وذلك بحسب التأسيس الفكري وقضايا النسوية التي تتبناها كل فرقة.

[3] يقصد بالنسوية التوفيقية = النسوية التي تقوم بالتوفيق بين مطالبات التيار النسوي وبعض النصوص الشرعية تارة بتأسيس تلك النزعات النسوية من داخل النص الذي يحوي انحيازًا للإناث بحسب ادعاء صاحبات التوفيق وتارة بتأويل النصوص بعبثية مفارقة لأدوات قراءة النص الشرعي المرتضاه لدى أهل الصنعة التأويلية وتارة باستجلاب أدوات خارج المدونة الشرعية وجعلها وقيم النسوية حاكمة على التراث = فيقمن بالتوفيق وصناعة توليفة بشق شرعي وشق نسوي.

تسلك هذه النسوية جملة تدابير تعيد من خلالها تعريف الأسرة المسلمة تبدأها (بالمطالبة بحقوق المرأة لأنثوية تطالب بالمساواة التامة مع الرجل إلي نيو أنثوية تلغي الرجل وتشيطنه وتدمر الأسرة وتضع يدها في يد الأقليات الجنسية التي يراد لها أن تكون مستقبل الإنسان الحديث)[3] ثم بعد فشو خطابها التظلمي وبكائياتها ذات المسوح الحقوقية تدخل طورًا جديدًا تسعى عبره لتأنيث الخطابات الإعلامية لتعيد من خلالها تشكيل الرأي الشعبي العام وتطبيع الجو مع وافداتها وقضاياها كالجندر والجنسوية والأنسنة والجنس الآمن ولواحق تلك الحزمة من تنظيم للأسرة وتحديد للنسل ودفوعات عن الإجهاض وتقنينه [4].

محاولة إعادة قراءة التراث الإسلامي قراءة نسوية مع دلالتها على أدلجة الخطاب الما بعد نسوي إلا أنها توضح قناعة منظرات الفكر النسوي بعدم انفكاك المجتمع المتدين عن كلياته وديمومة تمسكه بثوابته العقدية فلما لم تجديهن التوفيقات التي رسمتها لهن بعض الأقلام الملبرلة من داخل الفضاء الإسلامي لجأت هذه الاتجاهات الأنثوية لآليات إعادة

تفسير النص الشرعي بتقنيات الجنسوية والجندر والهويات الجنسية وحمل كل الآثار والمرويات على تراتبيتها (ذكر/أنثى) واعتبار كل هذه المقدمات خالصة لنتيجة وضعنها ابتداءً وهي = انحياز الدين لجنس الذكور وتهميشه لجنس الإناث ومن ثم تقديم النزعة التمركزية (حول الذات النسوية / الذكورية) كحلول ابتكارية لهذه الأدواء العضال والكتابات الفكرية في هذه المناحي أكثر من أن تحصى لكن مؤسسة FORD آثرت دعم الاستكتاب والبحث في ذا الموضوع حتى أخرجت أهم دراسة تتعاطى نظريات قراءة ونسونة التراث الإسلامي (ونصوص الكتاب والسنة والحوادث التاريخية التي تشتمل على ذكر النساء بصورة أخص) وهي كتاب النسوية والدراسات الدينية الذي كتبته جمله من الأنامل النسوية ذات الخلفيات الدينية [5].

بعد السيطرة على الإعلام وخلق جو يسوده الرضى بالخطابات النسوية وتغلغلها في المجتمع المسلم وقد أولت له أسهم المعرفي الذي يتكئ عليه في بناء علاقاته وتنظيمها تنتقل مباشرة لتدابيرها وخططها لهدم الأسرة وقد نجحت ابتداءً في بناء المعارك الوهمية بين مكونيها (الذكور والإناث) فتشيع فيه المعاهدات الدولية كبديل لجملة الأسقام التي رسخت في

أذهان الناس انبثاقها عن التراث فتسعى لتحقيق التسامح مع العلاقات خارج الزوجية المشروعة وذلك برفع سن الزواج وفرض عقوبات قانونية لتزويج الفتيات تحت غطاء (محاربة الزواج المبكر والحد من أضراره لعد بلوغ الفتاة سن الرشد القانوني) مع توفير بيئة آمنة للجنس والعلاقات الخارجة عن الشرع بما اسموه بمفاهيم الجنس الآمن والموانع الحادة عن الحمل إلى وصول الناشئة للإجهاض المشروع مع توفير شبكات توعوية تطوعية بعضها يستخدم ذات المراهقين في تدمير الأسرة (6).

الطريق الأمثل في محاربة الأنثوية المأفونة، هو تعليم المجتمع المسلم بالأبواب الفقهية التي تدرس مواضيع النساء وخواص مسائلها بشيء من التفصيل كأبواب النكاح والطلاق والرجعة وأحكام الحيض والنفاس وما يتعلق بالمكلفين من الجنسين على حد سواء فلما غابت التنشئة الدينية الصحيحة في هذا الباب واستغنت المجتمعات المسلمة عن معين القرآن والسنة وتدابيرهما في تصحيح اعوجاج وانحرافات الناس الحادثة من نشوز النساء وإعضال الآباء وعدم قيام المسؤولية وفق رؤية الشارع = انهدمت الأبنية الأسرية وحلت مكان هذه الفراغات الروحية سلسلة الأنثوية الغاشمة!

الذكورية الجديدة ... بوادر التشكّل ومعالم التطور (1)

تعتبر الحركة النسـوية بأجيالها المتعاقبة ومدارسـها المتعددة غربية المنشـأ والفلسـفة والسـيمياء العام لكنها انتقلت للعالم العربي بعدة قنوات الوصـل الاسـتعماري كما العلمانية فمن نسـوية جاءت مع الغزو العسـكري للأقطار والدول لنسـوية ثقافية تزامنت والتغريب العلمي النظامي فنسـوية وفدت إلينا عبر الابتعاث الدراسـي من ثَم اسـتحوذت الأكاديميات الغربية على فضـاءات العالم الإسـلامي بتكنولوجيا الاجتماع الرقمي، فباتت الأفكار النسـوية داخلة ضـمن أدوات البحث العلمي ومحركاتـه وإحـدى رمزيـات جودة البحـث وفرص انتشـاره وقبوله، مما ساهم في بناء تطبيع واسع للفكر الدخيل وسط الجيل المثقف عبر السـينما والمرويات والسـلطة الإعلامية البصرية والسمعية وغيرها.

رصد حركة المدافعة للنسوية في سياقها الغربي يأخذ الباحث لجملة من مظاهر هذه الدفوعات للسردية النسوية خاصة نسوية ما بعد الحداثة فثمة حروب أكاديمية من دراسات ناقضة لأس الفكر النسوي وظلاله على المجتمع الغربي إلى جهود بحثية في دراسات سيسيولوجيا الفمنزم وملابسات تكونها وتشكلها وأهم لوثاتها على المجتمع وسبل مكافحتها إلى تشكل تيارات مضادة لرد هجومها على القيم الغربية نفسها - بحسب زعمهم - فكان (التيار الذكوري) أبرز ذي المعاول الهدمية للنسوية فاتخذ الذكوريون نفس أدوات الفمنزم في ردها ومجابهتها كدعاوى الاستغناء عن المرأة والتبتل عن الوصل بها وإعلاء عقيرة الشذوذ الجنسي والاستمتاع بالحيوانات بغية تقليل الاحتكاك بالنساء كمسلك عكوس لعزوف النسوية عن الرجال وبل وصل الأمر للتطرف بمستوياته الجسدية تجاه النساء كتبني حركات التقتيل والتعنيف لكل ما هو أنثوي ولعل شعار (MGTOW) الذي يعني (الرجال في طريق والنساء في طريق) والذي ظهر عقب الفلم الشهير Red Pill (الحبة الحمراء والزرقاء النساء) وهو فلم أمريكي يتحدث عن حقوق الرجال والذي أدى بدوره لتبلور الذكورية بشكل سينمائي واضح بين الرجل والمرأة.

إن تشكل الذكورية الغربية مفهوم بالنسبة للمسلم نظراً لغياب الفهم الفطري لتكاملية الأدوار بين الرجل والمرأة وسيطرت الفكر الذي يعلي من شأن التمركز والذات بجانب التطلع الرأسمالي لتجزئة وتقطيع المجتمعات لوحدات متناهية لتحقيق أكبر ربح تسويقي من جهة وانتشار أسرع للعقيدة الفردانية والعلمانية من جهات أُخر، لكن وفود الذكورية للمسلم وبل تبني ظلالها الفكرية ومزاعمها الأيدولوجية تحت ذرائعية القوامة وتفضيل جنس الرجل على المرأة دون النظر للبناء الفقهي للقضيتين لهو ضرب من ضروب الهوة بين التأصيل الصحيح والتنزيل الصريح وبروز عدة شارات تدلل على استفحال هذه البادرة الذكورية تتمثل في تصاعد الخطابات من نوع احتقار الأنثى والتقليل من شأنها وبل مهاجمة كل من تكلم عن مركزية القضايا النسائية في المدونة الشرعية والتاريخ الإسلامي ووسم مَن تبنى هكذا أقوال وحقائق بالنسوي المتأسم وتارة وصمه بالداعية التلفيقي كما حدث من عدد من المعاصرين ممن أصّل لقضية المرأة من الشرع تأصيلًا يراه الذكوري مجرد تنازلات واستجابة للمزاج الليبرالي الناظم للفكر النسوي الحديث، يضاف لذلك الحدة غير المرشدة في تعاطي مشاكل النساء من قِبل تيارات

سياسية إسلامية مع إهمال كبير في التركيز على هذه الشريحة المهمـة، ولا نعني بـذلـك التنكر لحقيقـة تضـــخيم البعض للموضـوع النسـائي والإتجار به، لكن التطرف والحيف لا يبرر مقابلته بالمثيل والندية.

الذكورية الجديدة . بوادر التشكل ومعالم التطور (2)

بدأت بوادر الذكورية في الفكر الغربي جرّاء استفحال الشأن النسوي وشيوعه والذي كانت استمداداته مخدومة بجملة من الجوانب السياسية كنسوية المراكسة الاشتراكية، ونسوية الاتجاه الرأسمالي، ونسوية التعنصر السوداوي ومن جهة ثقافية كنسوية الراديكال، وجوانب عَقدية كنسويات ما بعد الحداثة والتي فتحت أمام المجتمع النسوي فرصة لمزيج بين المتضادات الدينية، كنسوية الإلحاد والنصرانية ونسوية التلفيق الإسلامي وأبنية حقوقية، كنسويات العمال والتظلّم وهذه المنابت مجتمِعة أكسبت التيار النسوي صلابته وقوة خطاباته وحِدة مواقفه تجاه كل ما هو مخالف لها = الأمر الذي جعل ظهور تيار فكري مستقل بأدواته الدفاعية أمر ليس بالسهل فاتخذت بوادر الذكورية ذات الحِيل النسوية كتجريم كل ما هو نسوي كالتراشق اللفظي وكَيل مهول الشتائم للنساء مبدأ رسميًا واضحًا للقضاء على ذي النسوية وظلالها المجتمعي، فعَلت فيهم أدبيات فلسفية كبعض المقولات السقراطية في المرأة وشيء من حمولات حقبة الأنوار

والأدبيات الكنسية التي تحقِّر المرأة وتحط مكانتها كبنية نظرية لمعاركهم، وذلك بسبب تأثر الفكر النسوي بالفلسفة الديكارتية في كثير من قضاياه كقضية المساواة التي استقينها من (ثنائية الروح والجسد وعدم تأثير الجسد على الروح مما لزم كون العقل لا تأثر له بالأعضاء كموضوع الجنس . ذكر / أنثى . فبالتالي لا عبرة بتمييز يُبنى على هذه الجنوسة لطالما أنعدم تأثير الجسد على الروح/العقل = فتتساوى بذلك الإناث والذكور عقلًا فلا تفاوت حينها) فكان داعي التفلسف شاغل للذكورية في بواكيرها.

التضاد الشديد بين النسوية والأصولية بوصفها اتجاه ديني يأطّر لعبودية النساء بحسب تعبير النسويات جعل الفكر الذكوري متقبَلًا في الوسط الأصولي ففي العام 1994م طرحت مجلة الأكنومست ثلاثة مقترحات بدراسة مبثوثة في الشبكة بغية القضاء على الأصولية واحدة من هذه الاقتراحات هي النسوية وذلك بغرض القضاء على الفوارق والمبادئ الأصولية الفاصلة بين الرجل والمرأة، وهو الأمر الذي يتعذر فعله بغير تنامي النسوية بصورة كبيرة وسط المجتمعات الما بعد حداثية.

لذلك، وجدت الدعاوى الذكورية في بواكيرها رواجًا كبيرًا في الأوساط الأصولية بسبب ذي الشارات الأكاديمية، ونما مرة أخرى تيار الذكورية المسماه بعشيرة الباكلاش Baclash Clan الباكستاني وزادت شهرته ورواده.

منزع التمركز حول الذكر الذي تبنته النسوية الحديثة وجعلها للقيم من شاكلة التحرر الاقتصادي والتحلل من النفقات الرجالية والعصمة والدعوة للاستغناء عن الرجال بالنساء فتح الباب للذكورية في استعطاف رواد جدد بمخاطبة العاطفة عندهم بأن النساء استولين على أخص خصائصنا، والتي بغيرها نحن مجرد إناث بلا روح ذكورية وهذه في فيلم Red Pill أوضح وأبين.

فبالتالي خلاصة القول عزيزي القارئ الذي يجدر بك التنبه له هو: أن هذه المنازع الذكورية هي وليدة السياق النسوي الغربي ولا وجود لها لا أصلًا ولا تبعًا في عالمنا الإسلامي، من جهة النشأة والتطور وما وردتنا إلا بعد سلسلة من المراحل والعقود البنائية، وهذا يعين المصلح كثيرًا في نواحي التعامل معه؛ لأن مجرد عدم وجودية الفكر الذكوري في المخيال والتراث التاريخي الإسلامي حجة متينة في دفعة وركله للخارج.

وكما تقدم عندنا في بداية الكلام أن الذكورية قامت بعد نزاع سياسي وثقافي وفكري وديني ومجتمعي خاضته الحركات النسوية.

لكن ثمة سؤال مهم نطرحه: ماهي الذكورية المتحقِقة في الحالة الإسلامية؟ وهل هي بذات الطبيعة الذكورية الغربية أسباب وأدوات في محاربة الفكر النسوي؟

ظاهرة خلع النقاب والحجاب الشرعي

ظاهرة خلع النقاب والحجاب الشـرعي تكررت في فترة ما بعد 2016م بشكل ملحوظ، ولكن بعد الثورة السودانية باتت أكثر وضــوحًا في الفضــاء الســوداني، واتخذت شــكلًا للتباهي واســتعراض التحرر من القيد الشــرعي، وتقديم ذلك للتدليل على عـادية ارتـداء الحجـاب الشـــرعي والانفكاك عنـه، وهي خطوات تغريبيه مشـــهودة في تاريخ التحرر النســـوي أقربها رصدًا الحالة المصرية.

الأجـدى والأنفع ابتـداءً أن ينصــرف الكلام حول ضــرورة الحجاب الشـــرعي ومركزيته في التشـــريع الخاص بالنســـاء، عِوضًـــا عن النكير على نازعات الحجاب، أي بمعنى أن تكون نقاشاتنا العامة حول النقاب تنسحِب عن أنه التشريع الخاص بالنســاء، لا أن نتناوله كظاهرة اجتماعية تحسَّــن من ســلوك

المجتمع؛ كأن تُحِد من الجريمة تجاه المرأة، أو أنه يظهرها كملِكة، جميلة، مهندمة، مستقيمة، درة مصونة.. إلخ وغيرها من الدفوعات الدعوية التي يقدمها المجتمع لضرورة الحجاب الشرعي، نعم ذي مكرمات وحِكم لتشريع الحجاب لكنها تبع للغاية التعبدية الكبرى، فلو لم يكن للحجاب الشرعي أي حكمة معلومة لوجب على المرأة لبسه، والتحشيد للحكمة بالشكل المشاهد في الخطاب الدعوي المعاصر يظهر وكأن الحجاب رفاهية كغيره من نوافل التعبد. في تقديري نزع الحجاب الشرعي يرجِع لداعي الارتداء ابتداءً؛ فلابسة النقاب لأجل الشهرة، وشهوة الموضة ومجاراة الترند، ومسايرة هوى المراهقين شأنها التغيير عند أقرب عتبة نفسية، سواء النقد من النسوة، أو خشية التصنيف والعزو لجماعات إسلامية معينة، أو الوصف بالرجعية والتخلف أما اللابسة عن قناعة فربما تنزعه لضعف الداعي الشرعي، وضعف الإيمان وقلة الناصر، أو عدم التمرحل التعبدي نفسه، فلا يُتصور ثبات اليقين تجاه الحجاب الشرعي في نفس مفرِطة عن الصلاة، المنغمسة في لذائذ المعاصي، المستهوِنة بضوابط الخلطة والاجتماع المجتمع بشكل عام، والاجتماع الشخصي كزميلات العمل، الدراسة، الأسرة، الرِفقة كذلك دور محوري في اختلال نظرة المحجبة للباسها، والعمل الطوعي المنظَّم أكثر بوابات

التخلي عن الرباط الشـرعي، أما الصـداقات غير المنضـبطة حتى داخل مجتمع النسـوة والتعرّض لمجموعات الفتيات الخاصة المهوِّنة من مكانة التدين أسباب رئيسة في الباب.

متابعة المشـهورات اللائي تحولت حياتهن من الفقر والعوز إلى رفاه الوظائف، ونعيم العمل الحر فقط لتخلصـهن عن القيد اللباسـي أبين أبواب التخلي عن الحجاب، والتضـييق الشـديد على المحجبات وضـعف فرص التحرك بالمجتمع قبالة الفسحة لغير المحجبات سهَّل التنازلات المقصودة.
(إن إخضـاع الحجاب لمتطلبات العصـر بحيث يكون حجابًا عصـريًا، واتخاذ الموجة معيارًا لا متناهيًا له، فإن معنى ذلك جعل الموضة ضابطًا في موضوع الحجاب حتى لو تحلل من ضوابطه الشرعية حيث إن تطور الزي لا يحده شيء على مر الأزمان ففريضـة الحجاب لا بد أن تبقى على جوهر معين، وتؤدي المقصـد منها وهو السـتر، والعفاف، وإخفاء محاسـن المرأة، وليس المقصـد من الحجاب هو الهوية الدينية فقط أو الرمزية حتى لو صار الحجاب بنفسـه يدل على الفتنة). النص أعلاه من رسالة أصولية للدكتور خالد عبدالعزيز السـيف عن مصطلح النسوية تحدث في جزئية الاقتباس بصورة تفصيلية حول اشكاليات الحجاب، والنقاب العصري، الذي يجعل أس

بقاءه مجاراة الموضـــة، فتحول من كونه فريضـــة شـــرعية، لمجرد ترميز ديني مثلـه مثـل أي رمز دلالي، مفرغ المعنى والمبنى، متحلل عن كل الضـــوابط الشـــرعية صـــور الحجاب المتبرج بصـورة واضحة تتجلى في تحرره عن مواصفاته التي حددها الشـــارع، وأهمها أن لا يكون زينة في نفســـه، مضـــافًا لذلك أن يكون واســـعًا فترى حجاب الســـفور ضـــيق للغاية وأشـــبه بفســـاتين الأعراس الماجنة فتنصـــرف ذهنيًا دلالته الشرعية لمجرد موضة أزياء عصرية أما عن جلسات التصوير (فوتوسيشنس) التي ملأت الأسافير من قِبل بعض المحجبات فطامة أخرى من طوام عولمة القيم الشـــرعية، والمحاولة العصـــرية لتجاوز القيود، والضـــريبة التي تلقى على عاتق المســـلم جراء إلتزامه، واســـتقامته، وضـــرب صـــريح بمحاذير الاختلاط، والولوج فيه بغير ضرورة ملحة.

التراحم الإنسانوي

عقب كل حالة وفاة من البشرية ممن لهم اشتباك مع قضايا الشريعة الإسلامية سواء تمثلَ ذلك في مجافاة الوحيين ونكارتهما أو التشكيك في أحد واردات الأمة منهما أو المستهزؤن بفرضية أخذ الأوامر الشرعية الربانية والنبوية على حد سواء أو حتى موت أحد أعداء الملة من الديانات الأخرى أو الملاحدة ومن بان شقاقهم لها، تجد ارتفاع أصوات المطالبين باتساع رُقعة الرحمة الإلهية عن حدها الوارد في ذات المصادر الشرعية التي يتعاملون معها تعاملًا براغماتيًا ذي قبل؛ إما قبولًا لها فقط في حالات النفع الشخصي الخالي من لوازم التكليف المخالف لأهوائهم الشخصية ورفضها مظنة الظلم التشريعي أو الحيف النصي أو تقديم منفعة مرجوحة عندهم كما سطر ذلك القرآن الكريم {وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين * أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون} ، يظهر الخلل في هذه التوسعة للرحمة الربانية من عدة وجوه ككونهم قبلوا بالخبر القائل برحمته جل وعلا للخلائق وردهم لكونها رحمة خاصة بأهل

التسليم والإيمان خارج عنها كل كافر بديانته ونبوة نبيه عليه الصلاة والسلام مع أن كلا الخبرين في ذات الكتاب من ثَم تناقضهم في شمول هذه الرحمة للناس فلن ترَ المرحمة ذائعة الصيت إبّان وفاة أعيان المسلمين من علماءهم وكبرائهم! هذه الصكوك التراحميه التي يتم توزيعها بالكاد تتكأ على تنظيرات فكرية وفَدت للعقل المسلم ضمن عملية الاختراق المعرفي الذي طفحت نتاجاته في السطح وثارت إثره الفوارغ من رؤوس أبناء الأمة، إذ طبائع العقول لا تقبل فراغا، فوجدت هذه اللوثات مكنتها منهم وهي ما يعرف بالإنسانوية وما تلتها من حوادث الدعاوى التي ما ملخصها ذوبان الفوارق العقدية والأيدولوجية والاحتكام لمبدأ الأنسنة، واعتباره شرط شارط في الواجبات عملا والحقوق أخذا.

من مقتضيات تيك الأنسانوية الاشتراك في خواص المعتقدات أو رفضها إجمالًا، فمن مظاهر الرفض لذي الخصوصيات العقدية هدر قيم الولاء والبراء واعتماد الوطنية والتصنيم الحديث كفارقًا جيوسياسيًا حينًا وترميزًا إنسانويًا بعض الشيء = فالانصهار الذي تمظهر في المناداة بضرورة اتساع رقعة المُثل الدينية كدخول الجنة والنار والإثابة على خيّر العمل والتجاوز عن شرِّه لعموم الناس غضًا للنظر عن

لوازم عقيدتهم ومتبوعاتهم الدينية، ومعبوداتهم المقدسة لهو الابن الشرعي للأنسنة المدعاه غياب مركزية الدار الآخرة والثواب الرباني المدخر للمسلم قِبالة عبوديته الخالصة لله عز وجل مع خفوت خطاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وضآلة الحسبة المجتمعية في ظل استحكام قبضة النموذج الحقوقي الحديث الذي أعاد ترتيب أولويات وهموم الإنسان، ووضع غَلبة وصدارة الحضارة المادية كمطلب راشد = أثمرت هذه الاعتلالات والتدابير الخاطئة شخصية مسلمة تقع قيمة الاعتزاز بموروثها والتمسك به واستبشار متعلَقاته وظلاله الحياتية في ذيلية المطالب العالية، فضلًا عن تصدير خطابات النكير من داخل البيت الإسلامي ضد أي أصوات ترفع تجديدية هذه الأصول الغائبة.

إن معالجة هذا الخطب الجلل تحتاج لدراسة متأنية للفكرة الإنسانوية والوقوف على أدبياتها ومنظريها وقفة جادة سبرًا لأغوار مبناها وفضحًا لدلالات ألفاظها التي يتبجح بها المنتسبون للإسلام اسمًا المخالفون له رسمًا مع ضرورة تبصير الأجيال بالمفاصلة الإسلامية لكل من بانت مفارقته للشرع الحنيف وإن كان الوالد والولد فهدم الإنسانوية الزائفة وحججها الرائجة وبناء ترسانة معرفية متينة من رحم الفكر الإسلامي

المستند على التدليل الصحيح على ضرورة مجانبة هذه الواردات والتعليل الصريح لبدائل شرعية لتيك الأوهام البشرية، لهو البوابة التي نلج من خلالها ورود العزة العلمية التي جاءت بها نصوص الكتاب والسنة، وتمثَّلها الرعيل المسلم في أجيالٍ مضت بعيدًا عن اتكاءنا على بكائيات ولطميات وأحاجي تاريخية لا تعدو كونها روايات تسكُن بها هزائمنا.

عن الدكتور العيسي وخطاب الإنسانية

رحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية الحرّاني كان كثير التنبه لخطورة تمرير الاصطلاحات الوافدة دون عرض دلالاتها على الشارع وتحديد حمولتها بل سؤاله الشهير (ما الجهة) لأشهر اعتراضات خصومه الفِرقيين كان فارقًا واضحًا في تاريخ الأفكار وفلسفة العلوم الاتمولوجية وهو نهج اطرد فيه في جميع مؤلفاته كالرد على البكري وإبطال أهم ثلاث مسائل تتعلق بالربوبية (وحدة الوجود . التثليث . قِدم العالم) وغيرها من موروث الشيخ رحمه الله = فتقرير بطلان المصطلح من أهم تفردات ابن تيمية ومن سار بذات النهج التيمي هو العلامة الشاطبي رحمه الله فكانا على دراية كافية بخطورة التماهي مع المفردات المشتهِرة داخل الحقل الشرعي فضلًا عن قبول الأجنبي عليه .

لذلك كرِه الدكتور فريد الأنصاري فكرة (أسلمة المعرفة) الرائجة في فترته ونادى بتبديلها ب (الاستصلاح) الأصولي المعروف!

الدكتور العيسي -هداه الله- وأشباهه من الدعاة ممن تمسّك بخطاب (الإنسانية) سواء جهلوا مدلولاته أم علموها فهم

يقدمون أخطر ما أنتجته الحداثة من عقيدة تأليه البشر وجعله مركزية قائمة بذاتها وتمويه الناس بكون مقصود الإنسانية راجع لاشتراك البشر في أصول كالخلق والنشأ والتاريخ البشري وأصول الأديان الصحيحة وإمكان التعايش (ولفظ التعايش نفسه محشو بقيم الثورات الغربية ليس بريئًا من دلالة آثمة) لكن الحقيقة أن الإنسانية لا تخرج عن معان منها:

- الفكرة المضادة للذين قدّموا الأديان بصورة خلت من القيم السامية ومجردة من التراحم الإنساني والتطبيق الغير صحيح للشرائع والأديان خاصة التاريخ الكنسي الغربي (مع التنبيه لكون اسناد كافة الشرور الغربية للسطوة الكنسية محض تهويل تاريخي نبّه له كثير من النقاد كالدكتور سامي عامري والدكتور المسيري والدكتور سلطان العميري وعدد من الباحثين).

- خطاب طائفة أنسنة الإسلام و التنازل عن النزاعات البشرية المبنية على الأيدولوجيا والاحتكام للنهج المدني والتعاقد الاجتماعي والنظام السياسي وهو المعنى الذي أنبنت عليه جميع المواثيق الدولية الحالية بما فيها حوار الأديان وخلاصة تجاوز الرسم الشرعي للفواصل العقدية وإعادة ترسيمها جيوسياسيًا والغالب في دعاة هذه القيمة الفاسدة الرخاوة

الدينية (والوسط في قضية المشترك الإنساني بين طرفين طائفة جرّدت الإسلام من المعاني الإنسانية وطائفة أنسنة الإسلام وحصرته في تلك المعاني المشتركة بين الأمم وغالبًا ما يجذب الخطاب الإنساني المحض أصحاب النفوس الرخوة التي تميل إلى الموادعة وتجنب النزاع إذ يعيشون أوهامًا حالمة وأرض خالية من النزاع)[4]

الإنسانية الحديثة: دين ينبني على تصورات بشرية ومُثل أخلاقية تحددها ذوات المجتمع المعني بمفارقة صارخة لأي بعد تشريعي آخر، لذلك وصلت لأعلى درجات الفوضوية السياسية فظهرت الأناركية وانحطت لأدنى دركات السفه فجاءت باللواط المقنن وارتقت في سلالم الحقوق حتى وصلت لصوابية القتل الرحيم!

تُرى هل يعلم الدكتور العيسي ومن يدافع عن الإنسانية خطورة مسلكهم ووعورته؟ فالأمر أكبر من مجرد نزاع لفظي وخلاف سياسي

للاستزادة المعرفية حول الموضوع يُنظر الكتاب في الرابط أدناه ففيه الغنية.

[4] الإنسانوية المستحيلة . إشكاليات تأليه الإنسان وتفنيدها في الفكر المعاصر. د. إبراهيم الرماح

أحداث 11 سبتمبر ومفهوم الإرهاب

في ذكرى تفجير برجي التجارة العالميين في صبيحة الحادي عشر من سبتمبر، تتجدد عندي قناعة مفادها أن الوهم المسمى بـ (العالم) ما هو إلا مصالح دول السطو الرأسمالي، والحقوق الموسومة زورًا بـ (حقوق الإنسان) لهي قيود حافظة لامتيازات ونفوذ البشر الغربي ذو البشرة البيضاء واللكنة والعجمي اللسانية، ففي الوقت الذي عانت فيه شعوب الأفغان والبوسنة والهرسك أشد المرارات جرّاء البطش والصلف الشيوعي، الاشتراكي حتى بواكير التسعينات من القرن الماضي، والعراق حتى فواتح الألفية الثانية؛ لم نر حِراكًا دوليًا من ذات الدول التي صدعت رؤوسنا بعد هذه المجازر بسنين قلة إثر تفجير الحادي عشر من سبتمبر من العام 2001م حتى تجعل المنظومة الغربية هذه الأحداث فاصلة في تاريخها الحديث، حيث رتّبت نفسها في المناحي كلها سياسيًا جعلت الدول التي تتقاسمها المصالح بحسب موقفها من تجريم هذا الحدث؛ فكلما كانت الدولة ناغمة، ضاجرة من

الجهات التي تبنّت الحدث، شاتمة لها، مضيِّقة عليها كانت أحظى بالرضى الإمبريالي، وعلى النقيض تقل علاواتك وتزداد عداواتك الغربية حتى لو ألتزمت فقط الحياد في الحديث عن هذه الأحداث، أما في الجانب الأكاديمي فالمدونة الغربية اعتبرت الحدث بداية ما أسموه بـ (الإلحاد الجديد New Atheism /) على حد زعمهم بعدم قناعة بعض المتدينين بالجوابات التي طُرحت لتساؤلهم عن مبررات موضوعية لهذه النزعة التعنيفية، ووضعوا له محددات أهمها الميل والتقارب مع بعض الجماعات ذات الصلة بالتفجير، بل تم تحجيم دور بعض الدوريات العلمية التي رفضت التدليس وقبول الأبحاث التي تناولت الحدث، بل الداخل الأمني نفسه تم تعديله وفقًا لذلك فالمدعو خليل زلماي زاد السفير الأمريكي حينها بالعراق زوج الكاتبة تشيريل بيرنارد صاحبة التقرير (الإسلام المدني الديمقراطي) تم استيعابهما بوضوح في RAND الذراع الفكري، الأمني بالولايات المتحدة عقب مقالات حول التفجير، والكاتبة النسوية الإسلامية الدكتورة أميمة أبو بكر تم افصاح الباب الأكاديمي لها ولشقيقتها دكتورة رندة بمؤسسة FORD ضمن الفريق الكاتب لكتاب (النسوية والدراسات الدينية) بعد مقالاتها وندواتها المنكِرة للحدث دول إسلامية كالمملكة العربية السعودية والإمارات، أعادتا ترتيب داخلي فتم إعادة

تعريف تيار الصحوة السعودي من مناصر للقضايا، محضن آمن للشباب، بذرة وجذوة الدعوة والإرشاد إلى تيار إرهابي منتهي الصلاحية مع ملاحقة متتالية لرموزه، وقياداته العلمية، وفي الإمارات الدكتور عبدالخالق بعد أن كان من أشرس المدافعين عن ذي التيارات الحركية تحوّل لناغم بيِّن لها حتى حاز استشارية آل زايد وهو الآن ضمن المكتب الداخلي له، ومن العقول الاستراتيجية التي تبِت في الشأن الأفريقي لدويلة الشر سأفرد مقالًا بإذن الله تعالى للتأثيرات التي طالت التيار السلفي خاصة في المملكة العربية السعودية، وسبب المراجعات التي حدثت لعدد من الأطاريح العلمية حول الموقف الغربي من الدين الإسلامي.

الإرهاب - النشأة والتطور (1)

تتعالى أصوات تارات متعددة حول مصطلح (الإرهاب) ولعل ألحظ ما يمكن أن تُواجه به هذه الدعاوى سؤال ما الإرهاب

الأمم المتحدة ذات القِدح المعلّى في هذه الحروب المفاهيمية الضروس، لا تمتلك تعريفًا محددًا جامعً مانعًا للإرهاب ومع ذلك تجدها وحليفاتها من الدول متفقة لمحاربة ما لم تُحقِق مناطه!

معنى الإرهاب في قواميس اللغة يقع تحت مادة (أرهب ـ يرهب فهو إرهابي = يخوِّف أو يُرعب) وهو نفس ما قرره جمع من علماء علم النفس السلوكي أنّ الشخص يتحوّل لإرهابيٍ أنّى شعر بالخطر صوب أيدولوجيته أو توجهاته وأفكاره أو مكونه الإثني والحاضنة الاجتماعية إستنادًا على مقدمات العقيدة القتالية الفطرية التي تستوجِب بداهةً مدافعة الخطر.

ارتباط الإرهاب ذهنيًا وأول وهلة ـ لدى السامع ـ بالتيارات الدينية له عوامل متعددة لكن قبل ذِكرها يجدُر بنا التعرّف على

سياقات تاريخية صاحبت ظهور الموضوع محل البحث فظهور الإرهاب بمفهومه الحديث المتسم بقدر من السيولة والشبحية مرتبِط بالثورة الفرنسية وما أُرتُكِب من مأساة عقب الثورة نفسها أواخر القرن الثامن عشر، ثم استجدّت دول عظمى كروسيا ذات الرهاب الإصلاحي ضد حركات المقاومة المسلحة في الأربعينيات، ولعل موات (الجائحة الإصلاحية) السابقة لاتصاله بالقومية وبعض الدكتاتوريات بزوالها زالت تلك الدعاوى.

خطورة الإرهاب الحديث تصديره بقدر من التلازم بالدين تلازمًا من جهة المنشأ والمحضن والانتشار = ولديمومة الأديان السماوية وفي مقدمتها الإسلام ركّزت القِوى المستجدية للإرهاب إلصاقه بالإسلام، وبداية هذه الفِرية منتصف الثمانينيات من القرن المنصرم وبلغت ذروتها إبّان اندلاع حرب الأفغان والسوفييت، والمحيِّر أن دول عاتية كالأمم المتحدة الأميركية دعمت بشراهة حركات المقاومة الأفغانية وخاضت لصالحهم حملات إعلامية كبرى وشجّعت ذهاب الشباب المسلم بصور وأعداد مقدّرة لما تحدثه حرب الأفغان والسوفييت من توازن للقِوى العالمية وسحب بساط الهيمنة من الإمبراطوريات الاشتراكية، وتعلية شأن الليبرالية الجديدة

وتمرير سياسات الصدمة والتي نتج عنها الاستعمار الثقافي الحديث وقِواه الناعمة، عقب نهاية الحرب نفسها لجأت معظم جماعات الإسلام المسلحة لاحترب داخلي، وهو ما فتح نفاجات للأمم المتحدة الأمريكية بدعم أحد فصائل القتال وتقويتها مما يضمن هيمنتها عليها وتوجيهها لمآرِبها.

بناءً على تتبع النمو الإصلاحي للإرهاب نتوقف عند محطات ثلاث:

الأولى: حادثة 11 سبتمبر 2001م والتي أعلن تنظيم القاعدة فيها مسؤوليته عن تفجير برجي التجارة العالميين في مدينة نيويورك في أمريكا، وهو ما نبهها للخطر الذي ترتب على دعمها لتيارات سابقة لها صلة بحروب الأفغان ومن ثَم لجأت لصناعة الحرب العراقي لتصنع مناطق صارفه للحرب، وتوجيه للخطر الذي يتقدّم تجاهها وفتنة المكونات الدينية ببعضها وأسفرت الهجمات بضعف الجيش العراقي وحلّه في بدايات العام 2003م

الثانية: ظهور تلميحات حول مفهوم (الحرب بالوكالة) لأول مرة وذلك لأن الجهات التي تضررت من وقوف الأمريكان مع

مكونات مسلحة في حروب سابقة قررت رد الصاع بمثيله وتكرار التجربة بحذافيرها.

الثالثة: أن ثورات الربيع العربي لعبت دورًا هامًا في استفحال قضايا الحرب بالوكالة فتطورت صوره من الطابع السياسي للطابع الاقتصادي فأصبحت بعض محددات الإرهاب المزعوم تتصل بمدى متانة أو ضعف العلاقة بين الحركات المسلحة بالداخل العربي وبعض دول السيطرة التسليحية الكبيرة مما جعل المصطلح يتعقّد زيادة عن الماضي.

جملة من الصعوبات وعدد من مقدّر من الجهات الأممية والمراكز الأكاديمية طالبت بوضع تعريف معتبر للإرهاب وتحديد معايير للتصنيف وتكوين مبادئ للتتبيع للدول لرعاة الإرهاب، وهو السبب الرئيس الذي جعل المصطلح يتحول من الإرهاب إلى محاربة التطرف ذو الطابع العنيف، ومن المحاذير التي شابته أن التطرف العنيف نفسه غير موصوف بجلاء مما زاد البلاء ورفع من مستوى الخلل الإصلاحي.

إلصاق الإرهاب بالدين الإسلامي رهان معطوب وكسب إعلامي وهجمات ناتجة عن تعمّد لخلط القتل الممارس من قِبل جماعات مسلحة محسوبة عليه قصر العقيدة القتالية بالصورة الممسوخة، والتي تعني سحل المخالف وإن كان مأمون

الجانب وحسن المعشر وذلك الجهاد الشرعي الذي استوعبته نصوص الشريعة التي وضعت أنواعه ومناطاته واجبة التحقق، وما يدخل وما يخرج عن أصل الاقتتال بجانب التدابير المسبّقة واللاحقة به.

كورونا وتسريح العمالة

تضع معظم الشركات موظفيها بين سندان التسريح الوظيفي وفقد مقاعدهم أو مطرقة تقليل وتخفيض المرتبات بصـــورة مفـاجئـة إبّـان الأزمـات والكوارث غير آبهين بمـآلات هـذه القرارات على المســـتوى الفردي، وحجم الضـــرر الذي يطال العامل أو تلك المضـــار المتعدية للشـــركة لاحقًا، وهو مخرج معظم الشـــركات ففي الأيام الماضـــية قامت إحدى شـــركات النقل الخاصـة بـــــمصـر بتسـريح حوالي 40% من عمالتها، وقررت إيقاف إحدى روافدها وشـركاتها كحل لمجابهة الوضـع الحالي في الوقت نفســـه ســـارعت شـــركة بالقيام بمبادرة لتشـــغيل وتوظيف هذه العمالة وتعويضـــها وأعلنوا عن خطة لاســـتقبال 10 ألف عامل بنهاية العام 2020 م، ولعل ســـبب ذلـك يرجع للمميزات التي يحملهـا هؤلاء الموظفين المتمثلـة في الخبرة والتمرس الوظيفي، وأما وضـــعهم الحالي فهو كفيل بتخفيض كلفة تعيينهم ومرتباتهم تبيت وشـــيكة الزهد والقِلة وبأصـعدة أخرى فسـيكسـب صـاحب الشـركة موقف بطولي وإنســـاني بإيوائه لعمال بين أحلك المواقف وأضـــيق الســـبل فيجمع بين المكسبين المادي والمعنوي!

فقضــية تســريح العمالة بســبب الضــائقة له جناحي ســلب وإيجاب للشــركات، وهو بالضــبط ما حصــل مع شــركات كثيرة لحظات الأزمة المالية العالمية للعام 2008 ولنأخذ أنموذج شـــركتي (Honeywell) و (Genaral Motor) فشـــركـة (Honeywell) بحكمـة وخبرة مجلس إدارتهـا اســـتطـاعـت الخروج من الوضــع الصــعب بأقل خســائر، فقد قامت بخيار الإجـازات غير مدفوعـة القيمـة (إجـازة بدون مرتـب) ممـا قلل الضــغط المالي على الخزينة دون أن يتم تســريح عامل واحد وفقده لوظيفته وفي أول 9 أشــهر من العام 2009م انتعشــت وضعية الشركة ولم تعد أرباحها بذات الوتيرة المنخفضة ولعل الموقف (عدم تســريح العمالة في وقت الضــائقة) زاد من ثقة العمالة في إدارة شركتهم وأدّى ذلك لتجويد أدائهم لاحقًا.

أما شــركة (Genaral Motor) فبالرغم أنها قامت بتســريح أكتر من 50 ألف عامل إلا أنه في العام 2009م قامت بتقديم طلب حمـايـة إفلاس عـام فلم تنفعهـا تـدابير تقليل الموظفين ولا تضــيق مرتباتهم، وذلك بســبب أن عمالها المهرة لما قامت بتســـريحهم كانوا متاحين في ســـوق العمل وبســـعر أقل مع خبرتهم.

لذلك الآن بات الدرس واضــحًا للشــركات التي وعت الحدث فشـــركة (هارفارد بزنس) قامت بتقديم نصــيحة للشـــركات باستغلال الفرصة لتوظيف عمالة جديدة في هذه الظروف.

أمـا شـــركـات (كفيلبس) و (فيس بوك) قـاموا بفتح فرص التوظيف الفوري منذ بداية الجائحة فتســريح العمالة كما أنه فرصة للقضاء على شركات كبرى والاستيلاء على عمالتها فهو باب تنقل تلقائي للأفراد بين عوامل الوظيفة.

ولنلقي ظلالنا على أحوال الناس وإدارات الشـــركات ومراتبهم في توقعات المآل الاقتصادي عقب الجائحة:

1. المتفائل الذي يتوقع تعافي الشركات بصورة سريعة ومرور الأزمة بشكل عاجل وبخسائر أقل.

2. المتشـــائم الذي يعتقد أن الجائحة لن يرتفع لوائها إلا بعد قضائها على الأخضر واليابس وهذا فاقد للأمل ومتربع للأقدار غير آبِه.

3. الذي يرى أن الســقوط الاقتصــادي واقع متحتِّم لا مناص منه لكنه العاصفة التي يعقبها الهدوء.

4. الموقف المبني على توقعـات الخبراء يقول بـأن الوضـــع ســينخفض ويتدهور ثم يلحق ذلك نموء بصــورة بطيئة ولكنه

عرضــــة للتدهور بســـبب إجراءات العزل الصـــحي، ولكنـه ســـيتعافى عقب ســـنين ويعود لطبيعته وهو الســـناريو الذي تعمل بناءً عليه معظم اقتصـــاديات الدول؛ فألمانيا التي بها حوالي 7 ألف حـالـة وفـاة ترى أنهـا أقـدر على جريـان الحيـاة بطبيعتهـا لكن لعـدم اكتراث المواطنين بـإجراءات الســـلامـة كارتـداء الكمـامـات، وتـدابير التبـاعـد الاجتمـاعي وهو مـا رفع معدل العدوى إلى أكثر من 1. 2 % كما صـــرّح بذلك معهد (روبرت قو) وهو ما جعل الوضع المالي بألمانيا يتدهور بصورة متســـارعة وتحولها للســـناريو الســـابق، ولكن الأمر لم يتوقف فقط على المســـتوى الداخلي بل تعداه إلى (ســـلاســـل التوريد الخارجي EXternal Suplaing Chane)، فتدهور وضـــعها طـال الواردات ممـا أدى لتراكم (العرض السِـــلعي) لـدى دول الإنتاج والـذي بدوره أدى لاختلال انتظام الصـــناعة ومعدل انسياب الدخل التصنيعي.

منصـة التعاون الاقتصـادي والتنمية العالمية، قالت بأن الدول العظمى تحتاج لسنين ضوئية للتعافي من جرّاء جائحة كورونا وجنايتها الاقتصـادية، فكيف هو الحال دول الدخل المتوسـط وتلك التي تحت خط الفقر الإنتاجي؟!

فبيننا خيار التصـــنيع الســـلعي المحلي فهو في متناول اليد وبتكلفـة إنتـاجيـة متنـاهيـة ونتـاج موائم لاحتيـاج المواطنين والجائحة فرصة لتطبيق سياسيات (الاكتفاء الذاتي) واللجوء (للمشـــاريع الوطنيـة) و (البـدائـل المتـاحـة) فنحـافظ على (الضـروريات) ونتناسـى (الكماليات) لأوقات الرفاه الاقتصـادي لحين تعافيه.

ومنصة إلكترونية كـــ(انستقرام) تعرض سوقًا إلكترونيًا مجانيًا يمكن توظيفـه لأغراض التشـــجيع الإنتـاجي المحلي ونهوض المشـاريع البسـيطة الناشـئة، والحجر المنزلي فرصـة للتمعن في أولويات المشـــاريع بحســـب شـــروط الحاجة وممكنات التأسيس وتوفر رأس مال مبدئي.

مدافعة الأفكار العلمانية

لمدافعة الأفكار العلمانية، لا بد من استصحاب الآتي:

أ. مسلك الوعي الكامل بحمولة العلمانية الفكرية = السياق التاريخي / الحاجة المدعاة / الإمكان الإسقاطي / السبل المتبعة من قبل دائرتي التأثير والتأثر / مدارج الولوج في المجتمع والتغلغل المفاهيمي السلوكي.

ففي نهاية هذا المسلك يصبح المقاتل المناهض للمشروع العلماني مؤهل للحديث عن الموضوع بعلم وعدل لا بجهل وظلم (وهو مسلك شرعي دلت عليه النصوص والفطرة).

ب. مسلك توزيع المهام الدِفاعية فمن قائد لرأس الجيش ومن مجهز للعتاد الحربي = الشبهات المثارة ومداخل الخلل ومنافذ التسلل الفكري مما يمكن المواجهة من توظيف ما تلقاه في المسلك (أ)

كاجتهاد شخصي مُخِل وناقص، أقسم فضاءات الهجوم لثلاثة مناطق: -

1. العلمانية والحضـــارة الغربية = عدم انفكاك أي مشـــروع علماني عن قيم الحضارة الغربية كمًا ونوعًا مما يسهل للمدافع سرعة هدمها ومعارضتها بالمشروع المُتبنَى.

2. العلمانية والأخلاق = ارتباط التصــور العلماني بالبعد الغير مفارق يحتم فوضوية معيارية القيم مما يسهل للدارس سهولة تناول خطورة مســلكها فيما يعرف بــــ (محددات الجريمة) و (التحسين والتقبيح)

3. العلمانية وســؤال الدولة = تصـــور الدولة الحديثة وتقاطعاته مع قيم العلمانية لاســيما في إجرائيات تُعمل في وضــع (أعلى ســلطات) يقطع الطريق أمام الفاصــل بين العلمانية وبعض الأدائيات كالديمقراطية، أما في باب الدفاع ورد الشبهات: -

1. العلمانية والوحي =باعتبار أن هناك بعض من هم داخل الحوض الإسلامي ويتعاطونها معنًى ومبنًى.

2. العلمانية والحكم الرشـــيد = للتصـــور المثالي والانطباع المشـــرق عن الرفاه والعيش الكريم والحريات لدى بعض متعاطيها، والمنادين بها أو حتى الذين لديهم موقف ســـماح حيالها.

تشــتيت الجهود بصــورة غير مرشــدة يثمر ما لا تحمد عقباه ويســهل طريق الفشــل والكســل = تنامي العلمانية مع ضـمور تام للبرامج المضادة.

عيد الحب ومأزق المعنى من الحياة

تحتشِد كل يوم مهول التدليلات والشواهد الدنيوية، وما يصدر من فِعال المجتمع الإنساني بما يخدِم بصورة واضحة القضية المركزية، بل الركن الركين للنبوات والشرائع الإلهية والكتب الربانية وهي غاية العبودية والتوحيد، غير أن الحاجة الشديدة لتحقيق المعنى الوجودي والتطلّع الدائم تجاه رغبات روحية محددة، من أكثر الدلائل القيمية الفاضحة للسرديات والأفكار الحادثة والمنحرفة المنكِرة، بل المناهضة لذي القضية الشرعية الكبرى = كحدث الاجتهاد لصناعة وإضفاء الأهمية على أيام البِشر السنوي، كعيد الحب والأم والنسيم، أو أيام اللطميات، كيوم المرأة والحقوق، فهذه المناسبة تستبطِن أهمية اللذة والألم والفرح والغضب والسعادة والشقاء كثنائيات وقيم تضاد لديمومة الحياة، مع تنكرها للخطاب الديني المتبني لهذه القضايا!

العلامة الأصولي صاحب (الموافقات) الإمام الشاطبي -رحمه الله- أشار لهذه الرُجعة الإنسانية وإن طالت صغرى بنونات المجتمعات عن التسليم لضرورة العبودية الخالصة، وهو ما

أجمله بقوله عن المقاصـــد الشـــرعية (النوع الرابع: في بيان قصـــد الشـــارع في دخول المكلف تحت أحكام الشـــريعة، ويشـتمل على مسـائل: المسـألة الأولى: المقصـد الشـرعي من وضـــع الشـــريعة إخراج المكلف عن داعية هواه، حتى يكون عبدًا لله اختيارًا، كما هو عبد لله اضطرارًا)[5]

فهذا الكلام ينطبق تمامًا في صـــورة المعنى بجزئيته (الفرح) والتعبير عنه بالحب وإن كانوا جانحين عن جوهريته أصـــالة بالدين فمالت طباعهم وكالة إليه!

وهو نفس المعنى الذي لخصه صاحب النونية ببيته:

(هربوا من الرق الذي خُلقوا له ** فبُلوا برق النفس والشيطان)[6]

ووجه المقارنة بين احتفال من يســاند عبثية الإنســان وعدم حاجته لضـــابط ينظم حياته وبوصـــلة تهديه الســـبيل بعيد

---

[5] . الموافقات ـ الشاطبي

[6] الكافية الشافية ــ ابن القيم

الحب، وبين المذعِن للأوامر الشـــرعية والتي منها النكير على اتخاذ الأعياد خارج المنصوص عليها (الفطر ـ النحر ـ الجمعة) أنَّ كل منهما تحركه دوافع وغايات تنافي فكرة اللا معنى بيد أنَّ الثاني متسِق والأول متناقض.

عمومًا الحديث حول غياب المعنى والغاية من الحياة تهدمه ممارسات بسيطة في مظهرها، عادية الحدث لكنها مشحونة بدلالات فكرية، بل دينية مع صدورها من أكثر الكائنات الحية عداوة ونكرانًا للدين والإله أو المســـلِّمون بآلهة مســـيَّرة وفق مانفســـتوهات بشـــرية موضـــوعة بهوًى متَّبَع أو ضـــغط غلبة مزاج مطاع!

اليوم الرمضاني

المشتَرك السلوكي بين جموع الصوَّم في اليوم الرمضاني خلال أسبوعهم الأول إلى انتصاف الشهر مراقبتهم لمتنوع الطاعات والقربات؛ لأجل بقائها -على أقل التقديرات- بذات الجد والمثابرة في بداية الأيام الأُول لرمضان، وهذا الصنيع من حميد الفِعال، بل يندرج تحت منزلة المراقبة، وهي أجمل منازل السير لله عز وجل؛ إذ المرء رقيب نفسه وعمله تطلبًا لتحصيل أكبر فوز عند رفعها للرقيب الأجل الأعظم.

وهذه الحالة الرقابية لفاضل العبادة المقولة والمفعولة ضرب تفكّر في اسم الله (الرقيب)؛ فمَن علم برقابة الله عز وجل له واستشعرها حقيقة واستدرك مردوداتها على ذاته العابدة كانت باعثا له على أن يجدد نشاطه بطمأنينة أن هناك ربًا يلحظه في كل أحايين وخطوات طاعته له، وهو ما يدعو لتجويد تلك القربات تشريفا لها بشرف شاهدها والمجازي عليها.

تنبّه لتلك المنزلة

لكن ثم منزلة أخرى قلَّ التنبه لها في ثنايا المجاهدة اليومية، وهي جرد مكنون النفس من المعاصي التي اعتادتها قبل رمضان، وهنا أعني المعاصي المتعلقة بأعيان العبادات نفسها؛ كالتأخر عن الجماعات الراتبة واستعظام التكاسل في الوقوف أمام الرب جل وعلا، والشرود الذهني والقلبي لحظة الوقوف بين يدي الله عز وجل، وغياب تصور نصب وجهه تبارك اسمه تلقاء وجه عبده في الصلاة ما لم يلتفت، والالتفات هنا التفات الجوارح والفؤاد؛ إذ المعبود أرفع من قبول عمل يُشركُ فيه معه غيره.

ففي اللحظات التي تستذكر فيها تداومك على قراءة وردك القرآني في يومك التاسع بذات الكم والنوع الذي بدأته في يومك الرمضاني الأول لتراجع عدد مراتك التي وقفت فيها في الصف الأول لصلاة الصبح قبيل الإقامة ولو بدقائق، فإن رأيت منك يقظة للصلاة كذات العادة قبل رمضان فاعلم أنك خاسر؛ فالتقوى -التي هي خلاصة الصوم- لا تقف عند باب فعل الطاعة فحسب، بل تشمل كذلك ترك المعصية التي هي ضرب إقعاد عن كمال الطاعة، وفرع عن أصل عدم كمالها على الوجه المطلوب.

سل نفسك أيها السالك عن ضعف الوازع الأخلاقي في التعامل مع التكاليف الأسرية ابتداءً، ثُم عن الذين هم حولك؛ هل لا زلت بنفس ضيق العطن وفُحش القول وبذاءة اللسان الذي كنت عنده من ذي قبل، أم أنه تحول من سلوك يومي إلى نشاط مؤجل تستأنفه أنى وضعت صوم البطن بتمرة الإفطار؟

التحلية والتخلية :

خلاصة القول أن اليوم الرمضاني يحتاج لموازنة بين جناحي الفعل والترك فنحتاج فيه للطاعة مداومةً والمعصية هجرًا، ولا هجرة بعد الفتح أعظم من هجر المنقصات التي أقل ثمراتها قطع علائق أداء الطاعة بوجهها المطلوب.

فالناظر في حياة المسلم يجده يتنقل بين محطات حياته وساعاتها كمن سلك طريقا يعلم مخاطره إجمالًا لكنه يجهل تفاصيلها؛ فمِن عثرات الذنوب الصغيرة واللمَم -التي يقينا عرف بوقوعه فيها إذ العصمة انتفت عن عموم المسلمين خلا الأنبياء- إلى كبائر المعاصي التي يضع في حسبانه اقترافها طالما نفسُ سوءٍ تترصده؛ فهذه الحذرات يتلافاها تلافي السائر في وعِر الغابات يخشى اللصوص...

يُحرز السالك نفسه بمتنوع الطاعات وفي مقدمتها ذكر الله جلا وعلا (... مثَلُ ذكرٍ كمثل رجل خرج العدو في أثره فأوى إلى حصن فأحرز نفسه) إلى أدنى القربات ككلمةِ حسن في وجه الخلْق، ولكن الحصيف من العبّاد من عَرف أخايير الأزمنة فيجمع بين وقت الطاعة وطاعة الوقت، ويتعرّض لمكرمات وبه سبحانه (...إن لله في أيام دهركم لنفحات ألا فتعرضوا لها).

فكما أن ربنا جعل أمكنة مباركة كمكة وبيت المقدس ومنازل الرسل والأنبياء ومدارجهم وجميع بيوته من المساجد ومحاصن الذكر وبيوت المسلمين وبارك في ذواتٍ كالأنبياء والرسل والملائكة والعباد والزهاد وأهله وخاصته، كذلك بارك في بعض الشهور والأزمنة ومنها: رمضان فلزِم أن يستحضر المسلم هذه الرياحين ويتبرى مما يجافيها ويضاد صفاء ذهنه واشتغاله بطاعات ربه خلالها.

اليوم الرمضاني يبدأ بتهيئة المرء جوارحه ومراجحه وفؤاده حبسا للجسد مِن سجودٍ لصنم الهوى، وإخلاص القلب لرب النوى؛ فينوي بداخله خلاصا من ثِقال المعاصي والذنوب، ويسعى للهروب من أدغال الوحشة إلى جنة الأنس بالله تعالى اسمه، ويتنقّل من فاضل العمل إلى أفضله. في رحلة من

المثابرة والمجاهدة يصل في نهايتها لخيري دنياه وأخراه بإذن الله.

معارج ومراجع :

لتتوخَّ حذرك في طريق سيرك الرمضاني فتعرج من مقتصِد في محصولِ طيِّب المطعوم والمشروب والتنزه وملاعبة النفس إلى محسن في عبادات اليوم والليلة، ومِن ثَم لسابق خيرات التقرّب لله مجانِبا لحالة ظالِم النفس التي كانت تستهلك عالمك ما قبل الرمضاني.

علمتني الحرب

من خواص النفس البشرية التطلّع للامتلاك والحيازة وروافدهما من الأفعال كالتسلط، والرياسة إثباتًا، والدفاع عن الحقوق وكراهة الشراكة في خواص الذات نفيًا، وقد عبَّر الشارع جلا وعلا عن ذي الخصيصة في معرِض التصريح كقوله تبارك اسمه: "زُيّن للناس حب الشهوات.." وفي السنة: "لو كان لابن آدم واديان من ذهب لتمنى ثالثًا." وهذه السمة هي المشترك الإنساني على اختلاف الأزمنة والأحوال يزداد في رخاء الحياة، ويضمر في أسوأ الظروف بتغيير الحالات الفردية والمجتمعية.

كنتُ أزعم أنَّ هذه النزعة الامتلاكية قلّ أن تختفي اجمالًا في مجموع الناس حتى جاءت حرب الخامس عشر من أبريل

فتغيّرت الثوابت، وتحولت عندي على النقيض فبِتُ أحوِّل الضروريات إلى حاجيّات، والأخيرة بدورها إلى كماليات، ثم تضمر دائرة المرادات حتى تختنق في ركن قَصيّ.

علمتني الحرب: أنَّ كثيرًا من أعمال اليوم والليلة مما لا أثر له في رفع جهالتي، وتقوية بدني، وزيادة دخلي المادي كمجالس الترفيه، ولقاءات الأقران لغير ضرورة، والمحادثات الطوال بمنصات الإنترنت، والاغراق في الجدالات الفكرية حول المواضيع التي فرضت سطوتها كثقافات غالبة؛ كل ذلك أستطيع التقليل منه، كحملٍ جانبي، والاستغناء عنه كترف معرفي، وإن دعت دواعيه فبقدرٍ كالملح بالطعام، دون أن أجعله أكسجين يومي، وإكسير!

علمتني الحرب أن أنشغل بإصلاح نفسي، وأن عظيم مملوكاتي ما رسّخ فيّ ضرورة تعهِّد الذات، حمايةً لها من أوحالها، تعرُّفًا على أعيائها، رأبًا لتصدعاتها، رسمًا لمسارها الصحيح، فمع دراستي لتطبيب الأجساد أُولى المعارك بمحيط قيادة الجيش تحسستُ قلبي فوجدتُه أميَل أعضائي عن الحق، وأقربُ للضلال، وبمسح سريع لمعاجمي الطبية عن علل القلب ما

أفلحتُ في تخيُّرِ علاج لأُثنيه عن دعم الباطل، والوقوف مع البغاة، لولا بقايا من ذكرى فوائد جنيتها من مجلس ذكر بمسجد الحي.

علمتني الحرب أنَّي لست بحاجة إلى كثير علم بالمخلوقات، ويكفيني عن البحث في أغوار الكل أن أعلمه اجمالًا، علمًا يتعلق بالشكل دون الجوهر، فلا حاجة لإغراق النفس في تفاصيل عن ديناصوراتٍ سبقتنا بآلاف السنين، أو سجالات عن عوالم موازية يقطنها أشباهنا، أو مكاشيف لكواكب نتمكن من أُهلتِا.

علمتني الحرب أنَّ آلاف أرقام الهواتف التي بحوزتي يكفيني منها ما يجب عليّ وصله رحمًا، وما يلزمني محبّةً، وما يجمعني به عمل اليوم والليلة، والبقية نفل بحسب القدرة والإمكان، أتخيّرهم كما في عبادات الوقت!

عمومًا: علمتني الحرب أن أعيد النظر في كاتلوج ما أملك، ومسرد ما أريد، وقائمة ما أحتاج فليس من رأى كمن سمع.

تم بحمد الله